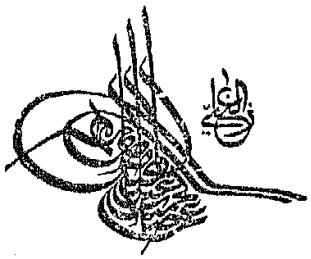

رواية لاديا س

(أو)

آخر الفراعنة

تأليف

شاعر مصر في هذا العصر

احمد شوقي

الطبعة الاولى

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الباب الاول ﴾

الحوادث فى بلاد اليونان

الفصل الاول

(نزهة على شاطىء البحر)

فلك الممالك أنت فيه ذكاء ياملكة فى ظلها الامراء
خلع الجمال عليك حلة عزه وكستك ثوب جلالها النعماء
يازينة اليونان أنت لافقها نجم وأنت لنجمها أضواء
حواء أمك أم كل مليحة لكن مثلك لم تلد حواء

كانت {لادياس} بنت الملك بوليقراط صاحب (ساموس) احدي ممالك اليونان فى غابر الازمان تتمشي فى طريق نزهتها على البحر تحت الأزين الانضر من ألفاف الشجر الاخضر . وعند رمل أزهر . كأنه دينار واحد أصفر والبحر فيما يلى ينجلي ماينجلي . وللريح نقر في صفحات الماء ، كنقر الغزال فى الحصباء . وقد قابل الاصيل مرآتى البحر والفضاء . فسالتا بنضاره الموهوم وسالت العوالم والاشياء

وكانت {لادياس} فتنة الناس . بالبدر الطالع في الغصن المياس . لامن طينة

البشر . ولا من أديم الشمس والقمر . ولكن صورة آية في الصور . فوق مبلغ الخواطر ومنال الفكر . وكانت لابسة حلة بيضاء . هي فيها حرير تحت حرير وضياء فى ضياء . وعليها من عاطر الورق وبديع الزهر . فى الرأس وفوق النحر . ومكان المنطقة من الحصر . مايجمع منه باقة زاهره . لادياس فيها الزهرة النادرة . وقد اتحدت بهذه الحلة الباهره . حتى تشابه المجموع وتشاكل الامر . فكأنما زهر ولالادياس وكأنما لادياس ولازهر

وكان يساير الاميره . فى نزهتها القصيره . أتراب لها كريمات عليها . وقرينات من أحب الناس اليها . ربين معها فى الصغر . ودمن على لزامها في الكبر . فكانت تحادثهن لاهية ناعمة . وهى تقول ماذا تقلن ياصاحبات لادياس فى شروط القران ؟ فسألتها احداهن بسرعة

— قران من يا مولاتى ؟

فأجابت الاميرة مازحه . قراني لاقرانك يافاجره

— وأي شروط يامولاتي الا أن يخطبك حبيبك . ويحبك خطيبك .

— صدقت لكن هذا يجوز على بعض بنات الناس . ولا يجوز على بنت الملك . اني أراك تجهلين الامر . ولا تدرين مايجرى من الاحوال فى القصر . فاعلمي أنه لايكون من زواجي الا ما أرضى أنا ويأذن الملك وتصادق المملكة بعد ذلك عليه . فأنا أقترح أن يكون المتعرض لخطبتى . الراغب في صحبتى فتى بين العشرين الى الثلاثين فائق النظراء والامثال . في الشجاعة والحكمة والجمال . والملك يشترط أن يكون صهره ملكا سواء نال الملك بكده وجده أو توارثه عن أبيه بعد جده . والمملكة تريد أن يرفع بعلي لآلهة اليونان . أربعين هيكلا مشيدة البنيان . فى البلاد التى له فيها الملك والسلطان .

فلعب هذا الجواب برأس الفتاة وساء موقعاً عند سائر البنات. فصحن جمعاء قائلات : حقا ان هذه لهى الثلاثة المستحيلات . فان صح ماتقول الاميرة فلاهي متزوجة ولانحن متزوجات .

فقالت لادياس وقد أضحكها غضب أترابها

— وهل تكرهن أن تأخذن من حالاتى بنصيب. فان تزوجت تزوجتن والا عشتن أبكاراً ماعشتن . فسألتها فتاة

— وكيف الطريقة يامولاتى فى معرفة من يفوق النظراء والامثال في الشجاعة والحكمة والجمال . أترجعون فى ذلك الى امتحان . أم عندكم أن الشهرة تغني الانسان . ؟

— بل الي الامتحان . حيث يكرم المرء أو يهان. فأما الشجاعة والحكمة فينظر الملك فيهما . ويختار لى من يستوفيهما .وأما الجمال فيعرض على عينى وقلبي . فلا يختاران منه الامايصبي .

— قالت سبحان المنعم وجلت أيادي السماء . فلولم تكن مولاتى أسعد النساء وأنعم بنات حواء . لما أتيح لها أن تتزوج من الرجال من تشاء . بل عندى أن جميع ماسبق من احسان السعادة اليك فى كفة من ميزان . وهذه المنة بمفردها في الكفة ذات الرجحان . ولكن هل اقتصرتم يامولاتى على شبان أبناء الديار . أو بلغتم ذلك الي غيرهم من بني الممالك والامصار ؟

قالت بل ان الملك بعث منشوراً بذلك الي أمراء الجوار . والى فرعون وكسرى وصاحب الهند ملوك الوقت الثلاثة الكبار . وعما قريب تتوافد المراكب . حاملة الملوك والامراء من الاجانب . مقلة الشجعان متقاطرين من كل جانب .وحينئذ ينظر فيمن يليق ، ولا يفوز بى الا الجدير الخليق

قالت فتاة ان جماعة القصر يامولاتي يتساءلون عن نبأ عظيم . وأمر يقع الآن جسيم . الا أنهم يذهبون فى التكتم على خط مستقيم . كأنما يتجاهلون أو كأن ليس منهم رجل عليم .

قالت وعم يتساءلون ؟؟

— عن أمر أولئك القوم . الذين يقبض عليهم في كل يوم . ويزجون في السجن سجن القصر حتى كأن هناك عصيانا يتلافى الملك وقوعه . أو حزبا خفياً هو يحل نظامه ويفكك مجموعه .

قالت لاعصيان ولا حزب مع ملك حكيم عادل مثل أبى . ولكن ربما كان للملك فى ذلك مراد . لم يطلع عليه أحدا من العباد .

— حسبت يامولاتى أن للامر علاقة بالامير ابن عمك

(فأجابتها) لادياس مغضبة محتدة لاتقولى الامير . وقولى الشقي النذل الحقير . وماذا بقى من أمر هذا الخائن الغدار . مما يشغل بال الملك من جهته أو يهمه الي هذا المقدار . فهو قد كفاني شره حتى لأنا أتمثله من مكانى هذا سوقة ضائعا فى مدينة من مدن اليونان . يمد يد السؤال الى كل انسان .

وما زال حديث الزواج يسرق البنات . خطواتهن والاوقات . حتى نبهن هجوم المساء . واشتمال الوجود بحلته السوداء . حدادا على الشمس الغريقة فى الماء ، وعندئذ ارتجلت الاميرة حركة الي الوراء . كالراغبة فى الانثناء . فعارضتها الفتاة قائلة ان وقت الرواح لم يجئ بعد يامولاتى ونحن قد صرنا من حدبة البحر بحيث تراها أعيننا وهى الغابة العجيبة الشان ، التي لم نرها الى الآن . فماذا علينا لو مددنا لارجلنا الخطي فجئناها فتمتعنا منها بنظرة ثم نعطي الرجوع من السرعة ماتأخذ منا زيارتها من الوقت

فصادفت هذه الدعوة أسرع ملب من طيش البنات . فما زلن بالاميرة يؤيدن عندها هذا الاقتراح، ويذهبن كل مذهب من الالحاح. حتى أذعنت فسار هذا الملأ الكريم من الملاح . وما هي الا ساعة مسير بحساب تلك الخطى الخفيفة وهاتيك الاقدام الناعمة اللطيفة .حتى انفتحت حدبة البحر للبنات. فدخلنها بسلام آمنات . وهي غابة كثيفة متسعة . محدبة كالسماء تقعه . وليس فيها مايبعث العجب . سوى شكلها المائل الى الحدب . وكانت من أماكن الامان والاطمئنان . التي لايخاف من وجودها على انسان. فلبث الفتيات فيها برهة من الزمان . فى لهو ولعب واغتباط وامتنان . فلندعهن وماهن فيه الآن. ولنخض فى شأن غير هذا الشان .

﴿ الفصل الثانى ﴾

(رجال الزورق)

كان فى ساموس جانب من الجزيرة مهجور . بعيد عما حوله من المعمور . وكانت فيه كتلة من الصخر هائله . منحنية على البحر مائله .وهذه الكتلة فيها غار . سحيق القرار . مظلم بالليل والنهار . مرتفع مدخله عن سطح الماء نحو خمسة أمتار . وكان الأهالي يسيؤن به الظنون . ويخلقون في أمره مايخلقون. ففريق يزعم أنه من مكامن الاشقياء .أشقياء الماء . وفريق يحسبه ميتاً لسبع جهنمي من سباع السماء . وعلى كل حال فقد طال ماتهيبوه . وحرمتهم الاوهام أن يقربوه .

فى ذات يوم أقبل زوق بجرا من طراز زوارق الاماره . أوهو واحد منها وعليه كما عليها الشاره . فرسا هنالك متواريا في الحجاره . ثم صدرت منه بالبوق اشارة .

فأشرف انسان من الغار ينظر فخاطبه رجل من الزورق قائلا خذ ثوبك يابيروس فالبسه كما لبسنا نحن ثيابنا ثم انه شد الثوب بحبل أرسل من الغار فرفعه بيروس اليه ولم يكن الا كلمح البصر. حتى ترك بيته وانحدر. بكل سرعة وحذر. كما تنزل القردة من أعالي الشجر. فتلقاه أصحابه وفسحوا له فركب فجلس. ثم حول الجميع المجاذيف الى الطريق التي رسموا للزورق أن يسير فيها فاندفع بهم ينساب. في بحر راقد العباب. مأمون المركب على الركاب. وكانوا سبعة رجالا. عراضا طوالا. بهما أبطالا. كلهم قد غير شعاره. ولبس للحالة حليتها المستعاره. حتى صار رأيهم يقول هذا من زوارق الملك وهؤلاء من البحاره. {فلما} جد بهم المضيّ مع الماء. واحتجب بهم الزورق الا عن العين التي في السماء. قال أحدهم ألا تعلمون ياإخوان مايجرى الآن. في مياه اليونان. قالوا بلي فخبرنا أنت بالخبر. ولا تطل كعادتك فليس ذا وقت الهذي والهذر. ولا مقام الحكايات والسير. التي تصيرها مملولة بكثرة الامثال والعبر.

— قال علمت ياإخوان واللبيب يعلم. ومن لا يستفهم لا يفهم. أن بوليقراط ذاك الطاغية. السياسي الداهية. يعمل الآن. عملا يحتذى فيه مثال كثيرين. من ملوك اليونان الغابرين. الذين خالفوا الشرف والاباء. وحالفوا لصوص الماء فاستراحوا وأراحوا الرعيه من أذي هؤلاء الاشقياء وانها وايم الحق لمقدرة من بوليقراط القادر. وآية من آيات دهائه النادر. بل مابال سائر الملوك. لا يسلكون مثل هذا السلوك. فيحتالون ليتخذوا لصوص البحر قوه. مأمولة النفع بعد الضر مرجوه ...

قال البحارة مالنا ياكلكاس ولتواريخ الاولين والآخرين. وانتقاد أفعال

الملوك الحاضرين منهم والغابرين . ألم تدعك لتوجز وتبين

قال اذن فخذوا الخبر . واسمعوا القول المختصر : ان بوليقراط يعمل الآن . عملا من الحكمة بمكان . سوف يكون له شان . ويبقى ذكره على مر الازمان

— قالوا وماذا تراه يعمل فهذا الذي نريد أن نعرفه ولا نريد ان نعرف غيره

— قال كلكاس وقد أغضبه مقاطعة أصحابه ان كان ولا بد من الاختصار . المذهب لطلاوة الاخبار . فانى أنقل اليكم الخبر على علاته . وأدع لعقولكم السخيفة علم مفصلاته . سمعت من صاحب أثق به . ولا أشك فى عقله وأدبه . أن مياه اليونان . يجري فيها أمور الآن . لا يعلم بها الا الملك وزعيم الاشقياء أورستان .

قال البحارة أهذا كل الخبر يا كلكاس ؟

— نعم وانه لو تعقلون لعظيم ولكني عهدتكم منذ صحبتكم تحتقرون الامر الجليل . وتسخرون من كل قال وقيل . وهذا لعمرى منتهى السفه .

— وأية فلسفة تريد أيها المهوس أن نستنبط من روايتك التى لا تقبل الزيادة . ولا تشير الى وقوع حادثة فوق العادة .

— قال وما يدريكم يا أغبى الناس . ان يكون لفعل الملك هذا مساس بنا أو بعروس اليونان لادياس . فقال بيروس

— أما بنا فلا لانني أعلم علم اليقين . ان الملك أمسك عن مطاردتى من نحو ثلاث سنين . أي بعد أن اضطرنى الى الاختفاء . وصيرنى فى زعم ميت الاحياء . العاجز عن كل عداء . وأما كون الحادثة قد تكون واقعة من أجل لادياس فهذا يكذبه كتاب عنها . حديث المهد بخط أقرب الناس اليها

(البقية تأتى)

وبينما القوم في هذا الذي نصفهم عليه يسخرون من كلكاس وكلكاس يسخر منهم اذا بفلك أربعة خفاقة الاشرعة. قد ملكت جهات الزورق . حتى كاد من شدة ضغطها يغرق . ثم وقفت وأطل من أحدها رجل فصاح يقول من القوم ومن أين والى أين؟

فوقع البحارة من أمرهم في معيص . ولم يجدوا لانفسهم من الغرق من محيص . الا كلكاس فانه لم يمهل الرجل ريثما يستتم بل وثب من مكانه وقال :

نحن بحارة الملك أيها الرجل ولولا انك تغالط عقلك لكان الزى وحده دلك . والآن فمن أنت حتى تسيء الادب على هذه الشاره . وتهاجم الزورق وتستبيح حصاره . كانك لا ترجو وقاراً لزوارق الاماره وحتى تقف لبحارة الملك في الطريق . وهم في الخدمة الشريفة التي لا يليق أن يعتريهم فيها تعويق . أليس هذا انتهاكا لحرمة الملك وعقوقا . وخروجا من واجب الطاعة ومروقا . ألا تقضي القوانين بالقتل . على مرتكب مثل هذا الفعل . فياقوم ما أسماؤكم . والي من انتماؤكم . حتى نرفع ضدكم الشكوى . ونقيم عليكم حال وصولنا الدعوى ؟

وكان أصحاب كلكاس حوله لسانا واحدا يدعوه ليختصر في قوله وهو لا يريد الاجابة. ولا يزيد الا اهذارا في الخطابة، حتى قام في اعتقاد المهاجمين أن رجال الزورق حقيقة من البحارة التابعين فخولوا عنهم المراكب للحين ، ومضوا لسبيلهم تاركين كلكاس . يهذي وحده كالخاطب في ناس ولا ناس حتى أسكته أصحابه فسكت ثم التفت فقال ان مع العي لغبنا . وان من السكوت لجبنا . أعلمتم بعد مكاني . أرأيتم كيف نفعتكم فلسفتي وأغني عنكم

بياني

قالوا وهـل جهلنا مقـدرتك وامكانك . حتى تعرفنا يا كلكاس مكانك انك لاعظمنا اقداما وبسالة . وأفصحنا منطقاً ومقالة . وأصلحنا لبوسا لكل حالة . أليس هـذا الزى الذي نفع من مواليد رأيك المتبع . وتدبير فكرك الذي يسع من الحيل مايسع؟

ثم ان الزورق استمر سائرا دائباً على بغيته رائداً حتى ذهب معظم النهار وتحفزت الشمس لتحتجب عن الابصار . فالتفت بيروس عندئذ الي أصحابه وقال لم يبق يا إخوان الا أن نحدر جهة الشاطىء فنسير بحيث نحاذيه .

— قالوا أوتدرى أننا دنونا بعد ؟

— قال نعم ؟

— قالوا اذن فانافاعلون

ثم وجهوا السواعد بالمجاذيف جهة البر وظلوا يتقدمون . وبيروس يرشدهم أين يتوجهون . وقد غلب الغرام الفتي على أمره . وحل الالمام عقدة صبره . فأجرى من الدمع مالم يزد أصحابه علما بسره . واندفع ينشد من أعماق صدره

يا ابنة العم رويدا * كدت للمفتون كيدا
أنت للعين سواد * أنت للقلب سويدا
كان لي فى الدهر تاج * صار ذاك التاج قيدا
كنت مولى صرت عبدا * كنت عمرو اصرت زيدا
أنا ان نالت شباكى * ظبية جيداء غيدا
لم أكن أول صب * أخذ الغزلان صيدا

حتى اذا تكامل للشمس الغروب . وآن للنهار أن يتنحي ولليل أن ينوب دخل الزورق في ظل أشجار. متكاثفة هنالك مرتفعة كبار . فتقصي بيروس النظر . فوجد البقعة صالحة للمستقر . فأعلم أصحابه انهم قد وصلوا. وأشار لهم أن يلقوا المراسي ففعلوا .

ثم نزلوا فتوارى الكل واستتر. بين الحجر والشجر يتربصون للموعد المنتظر . فلندعهم وشأنهم الآن يتربصون على ذلك المكان. الى أن نعود فنذكر من أمرهم ما كان

﴿ الفصل الثالث ﴾

(لصوص الماء)

لم يكن يمضي يوم على الملك بوليقراط بدون أن يفد عليه أورستان زعيم أشقياء اليونان . أو من ينيبه عنه من أعوانه الشجعان . فيلبث في حضرته برهة من الزمان . ثم يأمر الملك من يذهب معه الي حيث يريد . فلا يأتي الليل الا ويعود الرسول ومعه أسير مكبل بالحديد . فتصدر الاشارة باضافته الى مافي السجن من عديد

وظل الامر كذلك تسعة وثلاثين يوما . بغير انقطاع وقع فيها بين مخالب أولئك السباع . تسعة وثلاثون أسيرا من بنى الامصار والاصقاع . ليس فيهم الاملك مطاع . أو أمير له الامراء أتباع . أو بطل شجاع شاع ذكره وذاع . وملأ الاسماع . ثم مرت سبعة أيام بدون أن يقبض على أحد أو يزاد السجن على ذلك العدد . وفى اليوم الثامن حضر أورستان يضرب الارض برجليه كانه شيطان وعيناه جمرتان . من الغضب متقدتان . فدخل على الملك فحياه ثم قال

— لقد كدت أيها الملك أظفر بالبطل الشجاع . الذى لا من البشر ولا من السباع لولا أن نفسه العالية الأبية . فضلت ورود المنية . فآثر الثواء بقرار البحر . على الوقوع فى هوان الاسر قال ومن ذاك يا أورستان وما حديثه ؟

— قال يا مولاى فتى من مصر رفيع الرتبة في الضباط . تدل زخارف حلته على انه من حرس البلاط . وكان على ذات شراع . ومعه ثلاثة من الاتباع . فدعوناه كعادتنا الاستسلام . فأبت نفس عصام . فزدناه حصاراً فزاد تأبياً واستكباراً . حتى بلغ من حيرتى ويأسي . أن مارسته بنفسي . فظهرت بسالة الفتى على قوتى وبأسى . حتى لولم ينجدنى رجالي لصير البحر رمسي . الى

أن خانه على مراسنا الجلد . وكان أن أذعنت البسالة للعدد . فصرخ الفتى صرخة تذيب الاسد . قام لها البحر وقعد . وسمعته يقول مكانك ياحماس ان الجندي المصرى لا يعرف التسليم للملوك . فكيف يسلم للص صعلوك . ثم لم أبصر يامولاى الا بالسفينة تحترق . ثم اذا بها قد غرقت واذا بالفتى قد غرق . فشق على أن يموت وان يفوت ساحة الوغى من عناقه مايفوت . لكونه انما خلق لها لا لبطن الحوت . فقفيته برجالي يقصون عليه القرار . وينشدونه بين الحبب والتيار . وما زلنا نفعل حتى مغيب النهار . فلما لم يجد الالتماس . ونفضنا أيدى اليأس . رجعنا نبكي فقده . ونبكي الاقدام والثبات بعده

فقال الملك واغرورقت عيناه بالدمع . ان كانت ذا كرتى صادقة ياأورستان . فهذا اسم شاب مصرى كان لنا وله فيما مضى شان

قال أورستان وما ذلك يامولاى ؟

— كنت عرضت على فلاسفة اليونان . وحكماء سائر البلدان هذا السؤال وهو « لقد بلغت الزيادة قصاراها حتى أصبحت أتوقع النقصان . وطال أنسي بهذا الحال مع الزمان . حتى خفت تحول الحال ونفار الزمان . فهل من يصف لى مايخرجني من هذا الوجل . وآمن به الدهر أن يأتى على عجل » فانهال على من الاجوبة . ماظهر فساد جميعه بالتجربة . حتى كتب الى فتى من مصر بهذا الاسم يقول « ان الحوادث أيها الملك لا يعرفن ليلا ولا نهاراً . بل انهن قد يطرقن أسحاراً . وانى لا أرى للملك مايدرج به النفس على احتمالهن قبل ارتجالهن الا أن يعمد لاعز مايحب ويكرم من الاشياء فيبيده ابادة . بقوة الارادة . ويحرم منه النفس وهى صاغرة منقادة . وهكذا تفعل بين الحين والآخر حتى يصير الصبر لك عادة » فكان هذا جواب الحكمة

والصواب باجماع أهل الخبرة . من أعظم الحكماء شهرة . وأبعد الفلاسفة صيتا وذكرة . واذ كانت الجائزة المجعولة لمن يفيد . ويجيب الجواب السديد أن يشتهي علىّ مايشاء الا الملك فقد كتبت الي ذلك الشباب بالتمني ولكنه لم يجب حتى الآن فان كان ذلك حماس هو الذي تبالغ فى وصف بسالته واقدامه فنعم الصهر كنا نعتز به لو عاش ياأورستان . وهل لمحته عينالك . وقت الاشتباك . قال نعم يامولاي أبصرته فأبصرت البدر عند التمام . وألفيته جميلا بقدر ماهو باسل مقدام

قال كذلك مصر مازالت مرزوقة على ممر السنين . ميمونة مباركا لأهلها في البنين . وان لأهلها لعذرا اذا ألهوا بعض الناس منهم فقد يجتمع للمصرى من عظيم الخصال . ويتم على يده من جلائل الاعمال . مايضيق عنه الطوق البشري وتنوء به عزائم الرجال

قال والآن مارأى الملك بشأن الأسرى هل يظل ممسكهم أو فى النية فكهم ؟

— بل سأفكهم وأردهم الى بلادهم خائبين لانني لم أجد بينهم ضالتى المنشودة

— ذلك ماأرى أنا أيضاً يامولاى ولكن أذكر ان بين الاسرى أحد أشقاء الملك كسرى فماذا ترى فيه وماعندك من الترضية لأخيه ؟

— ليس لكسرى ان يحتج ولا علينا ان نترضاه اذ الامر شخصى محض ولادخل للرسميات . فى خصوص المعاملات وما علينا الا أن نكتب الى الملك بتفصيل ماجري ونخبره ان الامتحان اسفر عن خيبة أخيه خيبة فاضحة فلم يعد ممكناً أن أركن الي مصاهرته بعد ان ارتبطت بوعودي وعهودي امام العصر والمالك والناس

— قال نعم الرأى يامولاى

ثم انه استأذن الملك في الانصراف فأذن له فانصرف على ان يعود في الغد مغاديا

وكان الليل قد أقبل يواشك فالتمس الملك فتاته ليبلغها ماظهر وبان من نتائج الامتحان . فقيل له انها متغيبة لم تعد بعد من نزهتها اليومية على شاطيء البحر فأراب الملك الامر وشغله هذا الابطاء فجلس الى نافذة مطلة على طريق رجوع الاميرة وأشرف ينظر واذا الطريق تنكشف لمدى البصر خلواً من الاقدام . لادراج عليها الا الظلام فجد بالملك الارتياب . واضطرب فؤاد الوالد أي اضطراب . لاسيما اذ لم يكن من عادة لادياس أن تلبث خارج القصر بعد العشاء . فدعا الملك ثلاثة من غلمانه الامناء وقال لهم اذهبوا فاستعجلوا الاميرة وهي عائدة . وقولوا لها الملك بانتظارك على المائدة . فقالوا سمعاً وطاعة وانطلقوا للحين . خفافا مسرعين . فما زالوا بالطريق يحيطون به طولا وعرضاً . وتأخذه عيونهم سماء وأرضاً . فلم يأت البحث بفائدة . ولا رأوا الاميرة لاذاهبة ولاعائدة . وحينئذ ارتأى الغلمان أن يبقي منهم على الطريق اثنان . وان يتقدم الثالث الى حدبة البحر . وهي الغابة التي سلف لها في الفصل الاول ذكر . لعل التلهي في المشي قد ساق الاميرة اليها ، فلوت هي وأترابها عليها . فاندفع الغلام يجهد في السير الاقدام . الي أن أتى مدخل الغابة فدخل يوغل فيها . ويضرب في جوانبها ونواحيها . لاوجلا ولا هيابا ، ولا حاسبا للظلام حسابا . حتى بدهت أذناه بصوت أنين . له في جوف الغابة خفيف رنين . فالتفت وتفزع . ثم استجمع وانصت يسمع فأوجس الغلام أيما ايجاس . وخشي أن تكون صاحبة الانين هي لادياس فاندفع حثيث السير . يهب هبوب الطير . لعله يوافيها قبل تناهي الشدة فينجدها في كربها قبل فوات النجدة . وهو ينفذ على الصوت المدى . لعل أن

يجد عليه هدى . حتي بلغ موضعه . كما يبلغ الصدي مرجعه . واذا مصدر التأوهات . ومنبعث الأنات . ثلاث من الفتيات . حققهن الحارس في ضوء النبراس . فعلم أنهن ممن كن مع لادياس . وأن أبدانهن الناعمات . في الحبال موثقات . وبشدة الرباط موهنات . فحل على الفور ذاك الوثاق . ومزق تلك القيود والاطواق . ثم أنهضهن فما استطعن القيام . وخاطبهن فعجزن كذلك عن الكلام . فتركهن على هذه الحال وابتعد قليلا بحيث لايفوته حفظهن ثم أخرج صفارة . وبادل رفيقيه الاشارة . فجاوباه فاستمر يصفر وهما يتوجهان وجهة الصفير حتى أقبلا من أقصي الغاب يهرولان فحين رآهما حدثهما حديث البنات ثم دعاهما ليعيناه على حملهن حملا والرجوع بهن الي القصر لانهن من شدة الضعف بحيث لا يمكنهن الحراك ولا الكلام . فضلا عن المشي على الاقدام . فوافق الصاحبان على ذلك وتكفل كل واحد من الفتيان الثلاثة بواحدة من الفتيات الثلاث ثم ساروا على هذه الصورة آيبين الي القصر فما قطعوا ثلث المسافة حتى التقوا في طريقهم بثلاثة آخرين من الحراس أرسلهم الملك للبحث عن الاميرة ومساعدين لمن سبقهم في هذه المهمة فحين نظر رجال الوفد الثانى الي اصحابهم وما يحملون هالهم الامر وسألوا عن السبب فاعلموهم بالحادثة وانهم اضطروا الي العودة بالبنات الي القصر ليشرحن واقعة الحال للملك فينظر في ذلك نظر حكمة أو يدبر لنفسه أمرا فاستصوبوا عمل رفاقهم هذا ثم اتفق الفريقان على أن يستمر الوفد الاول في ذهابه الي القصر ليرفع الخبر الي مسامع الملك وانه يجد الثانى في السير لعله يقف للاميرة على أثر . أو يجيء عن أمرها بخبر . على ذلك انطلق الاول آيباً . واندفع الثانى ذاهباً

الفصل الرابع

أين أصبحت لادياس

كانت لادياس كلما أصبح الصباح طلعت على آفاق ساموس بالجلال والجمال هي والشمس . كلتاهما في رونق ضحاها . وعند سرير مجدها وعلاها لكن للادياس من الشمس مصبحها وليس للشمس منها ممساها

كانت تصبح كل يوم واذا الملك لله ثم لها في بلاد أبيها والامر في القصر أمرها وأهل القصر والملك الوالد في أولهم على قدم يخدمون اشارتها في كل مقترح

كانت عيناها الزرقاوان لا تنفتحان الا على نعيم الملك وعز السلطان وما بينهما من صنوف السعادات وأنواع الملاهي واللذات

فاذا لبست للامارة حلتها وأخذت تجاه المرآة زينتها وافى الشعراء حضرتها واذا على لسان كل واحد منهم مرآة تنظر فيها الاميرة الي محاسنها كيف كملت والى آدابها كيف جملت والي نسبها كيف شرف وارتفع والى ملكها كيف عظم واتسع

فاذا أتم الشعراء كلمات المدح والثناء أقبل العازفون وأهل الغناء فأجزلوا لها من الطرب وكالوا لها من كل لحن عجب

فاذا خرج هؤلاء دخل الامراء والوزراء والكبراء والعلماء والحكماء هذا يسجد وهذا يغني وهذا يقبل اليد ثم ينثني وهذا يضحكها بنادرة يرويها وهذا يهز أعطافها بحكمة يلقيها والكل بين المهابة فيها والاعجاب يبالغون لعروس اليونان في الخطاب

ثم يؤتى اليها من أقاصي المدينة بالتحف الغالية والهدايا الثمينة برهانا إثر

برهان على ولاء رعيتها الصادقة الامينة

وبالجملة كانت لادياس في كل صبح هي العناية في ملك والشمس الورود في فلك. ظل للرعية وعصمة. وسلام فيهم ورحمة. تمنح اذا الدنيا منعت وترفع اذا الايام وضعت. ولا تستشفع الا شفعت

اذا عرفت هذا شق عليك أن تعلم أن عروس اليونان أصبحت في غد تلك الليلة النحيسة لا تحكيها في شقائها وبؤسها وبلائها جارية في مملكة ساموس بل في ممالك الارض جمعاء. أصبحت في ظلمات تلك الصخرة الهائلة وسادها الحجر بعد الخز. وردؤها الذل بعد العز. ونكد الدنيا يتمثل لها في صورة ابن عمها وهو قائم عند رأسها يقول

انظري أين أصبحت يا لادياس

قالت في أسر شيطانك يا باغي وما أسرت الا الجسم ولن تملكه حتى يصير للدود فلا تطمع مني بحب ولا قبول. ولا ظفر بمأمول. بل اقتلني فهو خير لك من طلب المحال وأهون لي من عذابي بنحس وجهك المستمر

قال أما أني أقتلك أو أدعك تقتلين نفسك فأمر لا يكون وأما أني لا أنال ذاك المرام فهذا يا لادياس كلام في كلام فان لم يكن لي أن أطمع فان لي أن أغصب الارادة كما غصبت المريد

قالت ان للفضيلة والطهارة آلهة بهم اليوم اعتصامي فان لم يغنوا فان غدا بهم انتقامي والآن أطلب منك يا بيروس الراحة الصغرى بعد ما بخلت علي بالراحة الكبرى

قال مهري يا ابنة العم — فشق على الاميرة قبول هذه القرابة وازدادت غضباً على غضب

فقالت انى أحرمك يابيروس أن تدعونى بيابنة العم فقد أخرجك الملك من قرابته ولا يليق ببنت الملك أن تكون أول مخالف لارادته

قال وتبسم ولكنى أنا الملك هنا وأنت لى كل الرعية يالادياس ومع ذلك فانى عبدك أسألك ماذا تأمرين

قالت لقد بخلت على بالقتل فلا أظنك تبخل على بتركى وحدي لعلى أجد بعض الراحة فى الوحدة قال ذلك اليك

وكان حب الفتى لبنت عمه يداني الجنون وهى بالعكس تبغض ابن عمها بغض الموت فلم يثنه مارأى منها وما سمع عن رجاء انقيادها . والوصول يوما ما الى اجتذاب فؤادها. وهكذا كبير الغرام. كبير المرام. فتركها وشأنها وما تبتغى من الخلوة ظنا منه أن ذلك منها نفار ونزول .وصدود عنه ستحول. فنحن نتركه الآن يقضى الايام .فى الامانى والاحلام . ويروم من عروس اليونان مالا يرام

﴿ الفصل الخامس ﴾

(الملك بوليقراط)

الهم فى الدنيا لنا شامل * لم يخل لا عال ولا سافل
حمل اذا شئنا وان لم نشأ * فكلنا يوما له حامل
اذا حواه الملك فى برده * أوعاه فى كشكوله السائل
يرقى الى الصاعد فى عزه * ويلتقيه دونه النازل
ويعثر الراكب منا به * ولا يوقى المثرة الراجل
فقل (لبقراط) لقد كازما * خفت وجد الزمن الهازل
أمسيت لادارك مملوءة * أنسا ولا الصفو بها كامل

قد نام ذوجوع وذو غلة * ونام حافى الناس والناعل
ونام فى السجن سجين به * ونام من أبعدت والواصل
وأنت فى قصرك أنت السها * لانوم لا اغفاء يا ثاكل

لما بلغ الخبر مسامع الملك بوليقراط كادت لاجله أن تصم من الذهول وشدة الغم وكان البنات هن اللاتى قصصن عليه قصتهن وما لقين فى حدبة البحر وكيف وصل البحارة الي اختطاف الأميرة وصاحبتها هيلانه بعد ماردوهن جمعاء الى العجز وفقد ان الحراك بقوة الحبال . وما أعدوا لهن من السلاسل والأغلال . فلما سمع الملك ذلك أيقن أن في الأمر مكيدة وأن فتاته انما وقعت فى مصيدة

وكان قد اجتمع بالملك على الفور كل الرجال ذوى الشأن فى القصر فبدأ الأخذ والعطاء وحمى الحديث وكثرت الظنون فكان أول ماذهب اليه الملأ أن ناصب الشرك قد يكون أحد الاجانب القادمين الي البلاد في طلب الزواج بالأميرة فلما لم يستطع الوصول الي ذلك سولت له نفسه أن يأخذها غصبا ففعل

ثم تنقلوا من هذا الظن الي غيره فزعموا أن الكمين لايكون الا أحد الرجال ذوى المكانة فى البحرية بدليل أن خاطفى الأميرة هم كما أخبر البنات من جند السفن السلطانية وانهم يعرفون عادات الأميرة وأوقات خروجها ردخولها ولولا ذلك ماجاؤا فى الوقت اللازم . ولا اهتدوا الى المكان الملائم

وفى آخر الامر ذهب قليل منهم الى أن الفخ لم ينصبه الا بيروس بدليل أنه ولي الثارات القديمة وصاحب العداوة المستديمة وان الزي الذى أخبر به البنات ليس الا مستعاراً فهو حيلة انطلت على المخافر البحرية حتي مر

بيروس ورجاله فى أمن وسلام

وفي هذا الاثناء حضر أورستان وكانت الرسل قد أرسلت تباعا فى طلبه وماهو الا أن وصل حتى خاض فى الحديث مع الحائضين واشتغل بالمحادثة مع المشتغلين

وكان رئيس السفائن السلطانية فى جملة المتشرفين بمجلس الملك فسأله أورستان هل كان لكم زورق يسير اليوم فى الخدمة الشريفة قال لا اللهم الا أن يكون جلالة الملك هو المسير له ولا أدرى فقال الملك لا أذكر أني أخرجت زورقا اليوم ولكن ماعلاقة هذا السؤال بما نحن فيه ياأورستان قال ذلك يامولاى أن رجالى أخبرونى قبيل وصول رسلك الى أنهم التقوا اليوم بزورق من زوارق الامارة فيه ثلة من البحارة فدنوا منه وداروا به كالعادة ولكنهم مالبثوا أن خلوا سبيله كرامة لذكر اسم جلالتك فقد قام منهم رجل مهذار . يبالغ رجالنا فى الوعيد والانذار . حتي ضحكوا منه بقية النهار. فاذا كنت يامولاي لاتذكر أنك سيرت زورقا والرئيس يقول انه لم يخرج شيأ من ذلك فلمن ذلك الزورق اذن وماذلك الزي وأين ذهب أولئك البحارة ان الامر لامحالة مريب ولكنى أتكفل لجلالتك بكشف دخيلته ولا أسألك أكثر من ثلاثة أيام ثم آتيك بالخبر اليقين قال افعل ياأورستان ولك الشكر ولكني قد وجدت الذى ينفعني في البحر فمن لى الآن بالساعد المساعد فى البر لانك تعرف أحوال الجزيرة . وتعلم أن المجاهل فيها كثيرة. فما يدرينا أن تكون لادياس نقلت الي بعض المكامن حيث هى الساعة مقبورة أو أسيرة قال ذلك واغرورقت عيناه بالدمع فأمسك عن الكلام وأطرق أورستان يفكر فى طلبة الملك ثم التفت اليه وقال قد وجدت الذى

ينفعنا في البر يامولاى قال ومن ذاك قال قد وعدت يامولاي أنك تفك الاسرى فاذا كنت فاعلا فاجمعهم فى مجلسك هذا وأعلمهم بحقيقة القصد مما عوملوا به وأنك لم ترد بهم الشر ولكن لتبلوهم أيهم أثبت جاشا وأعظم شجاعة وبسالة ثم أعلمهم بما كان من اختطاف الاميرة على أثر ذلك وان الفرصة قد تهيأت للشجاع منهم أن يظهر شجاعته فمن وجدها منهم وردها اليك سالمة كان بها أحق فلا يعطاها الاهو فوافق الملك على هذا الرأي واستحسنه سائر أهل المجلس فصدر الامر عندئذ باطلاق الاسرى والمجيء بهم معززين مكرمين

ولم تكن هنيهة حتى جيء بالرجال وقد أبدلوا حالا من حال. فردت اليهم أسلحتهم وعوملوا بعد الحقارة بالاجلال .فلما دخلوا على الملك خف لهم خف المجلس على أثره ثم وقف فيهم موقف الخطيب فقال

« أيها الامراء الاقيال والشجعان الابطال

ان ما وصل اليكم في مياه مملكتي من الاذي وما عاينتم بعد ذلك من السجن لم يكن عن سوء قصد ولا ابتغاء الاضرار بكم ولكن لنبلوكم أيكم أثبت فى ساعة الهول جاشا وأعظم شجاعة وبسالة وبالجملة لم نكن فيما عاملناكم به الا مختبرين

والآن برغمي أن أخبركم أن الاميرة قد اختطفت وهي كما تعلمون واحدتي التي لا أعطي الصبر عنها فمن وجدها منكم وردها الي سالمة موفورة العرض أعطيته اياها فلا يفوز بها سواه فاخرجوا الآن الى مباشرة العمل اخرجوا فانظروا ماذا أنتم فاعلون »

فما أتم الملك كلماته هذه حتى صار الملأ حيارى كان بهم سحرا أو

كانهم لا يعون حتى اذا استفاقوا من دهشتهم وخرجوا هائمين على الوجوه يخيل لكل أن لادياس بين عينيه وفي يديه ولو كانت في السماء لصعد اليها قبل أن تنزل اليه

وكان الليل قد انتصف أو كاد فأشار الملك لاصحابه بالانصراف فانصرفوا وانقلب هو الي مقاصيره الخاصة حيث الملكة حالها كحاله وأوجاعها وأوجالها من جنس أوجاعه وأوجاله فقضى الوالدان كلاهما تلك الليلة سهادا هي حتى مطلع الفجر

(الفصل السادس)

(حياة ثم موت ثم بعث)

ان كان عمر طويل فما اليك سبيل
فالبحر حرز حريز والبر ظل ظليل
ولا المخاوف الا حوادث وتزول
والبأس ليس بمرد والجبن ليس ينيل
فكن كما شئت الا أن الجبان ذليل

علم القارئ أن (حماس) غرق في البحر على أثر التقاء مركبه بمراكب أورستان وما وقع بينهما من الحرب العوان وأن القوم غاصوا عليه طويلا فلم يجدوا له أثرا واذ أخذهم اليأس في أمره حولوا مراكبهم عن ذلك الموضع من البحر الى غيره

والآن نقول ان حماس لما ألقى نفسه في البحر كان لا يزال في أجله طول فما صار تحت الماء حتى انسحب بتيار كامن خفيف فلبث فيه هنيهة

يجاريه بصدر قوى صحيح حتى تمكن من اخراج رأسه من الماء واذابه بعيد عن اورسنان وجنوده بحيث يرى السفن ولا يراه من فى السفن فما توانى أن ذهب سبحا فى عريض الماء يسلك طريقاً غير طريق الاعداء وكان البحر هادئا ساكنا الارجة فيه خفيفة نشأت عن تلك المعركة العنيفة وخصوصا عند سقوط السفينة المحترقة فيه وكان الفتى طويل الباع في العوم فزاده الامل بالنجاة طول باع فى ذلك اليوم فمازال ينساب انسيابا ويذهب فى ثنايا الماء ذهابا حتى أمسى واذا هو بليل كموج البحر فى بحر كموج الليل وكان الفتى قد وهت قواه وبريء منه ساعداه بعد أن طالما ساعفاه فوقف وقفة المودع للوجود الساجد للسماء فى الماء لو قدر على السجود ثم تراخت أعضاؤه وانحلت من الكلال أجزاؤه فنزل قليلا قليلا يهوى الى القبر الاعظم من عالم الدأماء

ولكنه ما كاد يحتجب رأسه فى الماء حتى اصطدم كتفه بجسم صلب صدمة كادت تترضض بها عظامه فتعلق بهذا الجسم من حيث يدرى ولا يدرى فلم يشعر الا بحياته قد انبعثت وبجثته قد خرجت من ذلك القبر الهائل ملآنة من روح الامل بعد اليأس وقوى الحياة بعد الموت ثم لم يبصر الا بلوح عظيم كأنه بقية من بقايا فلك منكسر وهو يتوكأ عليه ويتخذه سندا ليديه فرفع الي السماء عينا شاكرة الى آلائها ناظرة

ثم تلا هذا النور نور الوجود بعد العدم أضواء ضعيفة تبدو على بعد كأنها دنانير تهادى فى الفضاء فدب دبيب الرجاء فى حماس وفاء الي الطمأنينة والايناس إذ رأي البر وأعلامه وأيقن انه عن قريب يجتلى وجه السلامه

فلبث مدة يسيرة لا يجهد اعضاءه ولا يتحرك حتى أخذ لبدنه قسطه من الراحة . وامتلأ من القوة اللازمة لاستئناف السباحة . ثم دفع اللوح أمامه

واندفع يتخذه متكأه وزمامه وهو يسرع في سيره تارة ويتأنى في مشيته طورا ويستريح مرة ويصل العوم أخرى وما زال كذلك نحو ساعتين من الزمان حتى أشرف على البر بسلام وأمان

وكن تلك الاضواء التي وجد عليها الهدي كانت لا تزال تلوح له قصية واهية خفاقة بل قدر آها وهو على خطوات من البر أضعف كثيرا مما كانت تبدوله وهو فى أحشاء البحر وقد قامت أمامه صخور هائلة لا نور عليها ولا سبيل مع الظلام اليها

ومع ذلك فلم ير الفتى بدا من الوصول الى اليبس والمبيت تلك الليلة على الفراش العام الامين فراش السراة بالليل والمعدمين فدنا من الشاطىء يدفع اللوح وهو به ضنين حتى نالت يداه الارض فأتبعهما الاقدام وهو لا يدري أفي يقظة أم في منام أم هو غريق يختنق وهذه سكرات الحمام حتى اذا احتوت الارض قدميه كان أول مافعل أن جذب اللوح اليه يحمله بكلتا يديه ولو استطاع حمله فى عينيه ثم قال ينجيه

« أيها اللوح المنزل رحمة من السماء المخرج عصمة من الماء المسخر لا نقاذى من لدن الآلهة الكرماء أقسم لك بأسمائهم العظيمة وآلائهم الجسيمة اني أحملك وأصحبك وأفي لك كما حملتني فى اليم وصحبتني في الغم ووفيت لى فيما ألم وأعدك وعد حر كريم أني اذا أوتيت ملك مصر آمر بعودك فتصنع منك قوائم عرشها العظيم

وبعد ذلك مشى حماس فى ضوء القمر الطالع يرتاد مبيتاً بين كتل الصخر المتشعبة المتكاثفة هنالك وهو لا يكاد يجمع أعضاءه من شدة النصب فهداه حسن الحظ الى مكان صالح بعض الشيء للمبيت وهو مستوى من الصخر

تخفي فوقه كتلة من الصخر كذلك بحيث يحصل منهما المآوى وطاء وغطاء فقرش اللوح أرضا واضطجع فأخذه النوم للحين

فلما كان الصبح نبهته الشمس بشعاعها الاول وبشيرها الى الوجود فانتبه خفيف الجسم ناشط الاعضاء جاف الثياب من حر الشمس في الحجر وكان الجوع والعطش قد أخذا من الفتي كل مأخذ فأخذ يدبر لمعدته أمرا فلم ير الا أن يخرج الى فضاء الارض يبتغي من فضل الله فتأبط اللوح وهم بالنزول من مكانه العالى

ولم يكد يتحرك حتي نظر أمامه شيأ أدهشه واضطره الى البقاء بعد ماعزم على الرحيل وذلك أنه أبصر على البعد زورقا يلقي المراسى وقد نزل منه رجل قصير القامة كثير اللحم والشحم وله زى الصيادين فجذب الزورق الى الشاطيء حتى صار كأنه جزء منه ثم أخرج منه قدورا وقربا مملوءة وأشياء أخرى كثيرة وجعل ذلك كله على الارض بعضه بجنب بعض ثم تركه ومشي يسلك طريقا في الصخر كثير الاعوجاج فامهله حماس ريثما ابتعد ثم نزل مستعجل الخطو خفيف الحركات يرقب باحدي عينيه الزورق ويتقى الصياد بالاخري حتى بلغ المكان والرجل ماض في طريقه مجد في سيره لايلتفت وراءه الي أن توارى شخصه

وعندئذ دنا حماس من الزورق وتأمل مابجانبه من المتاع واذا هو بكمية وافرة من أنواع السلاح فسر بذلك كثيرا وقال في نفسه الآن رددت على الاسد مخالبه فلنبدأ بها فانها هى الزاد الباقى لاجوع معها ولا خوف ثم قلب الاسلحة فتخير منها خنجرا وسيفا ورمحا وترسا وقوسا ومقدارا من السهام فتقلد جميع ذلك حتى صار فيه حصنا لايرام وأسدا

كل الارض له آجام ولوى بعد ذلك على القدور ففتحها واحدة واحدة فاذا فيها من اللحوم والبقول مايكفى جماعة من الناس مدة من الزمان ثم فتح القرب فوجد بعضها مملوأ ماء والبعض الآخر يفيض من أنواع النبيذ فأكل هنيأ وشرب مريئاً حتي كاد يؤذى من الرى والشبع ثم لم يكتف بذلك بل أخذ ماقدر على حمله من الزاد والماء والنبيذ وانثنى آيبا الى مأواه فأودعه هناك وأقام بعد ذلك يترقب

وقد كان أول ماخطر على بال حماس أنه يعيد جميع ما على الارض الي الزورق ثم يركب فيه فيسير . حتى يبلغ ماخلف تلك الصخور من المعمور الا انه راجع فكره فبداله ان هذه الكمية الوافرة من الزاد والماء والسلاح لايمكن أن تكون لذلك الصياد وحده وان الرجل ليس صياداً كما توهم لأول وهلة بل هو لص من لصوص الماء يأوى الى تلك الصخور ضمن عصابة من الاشقياء فخشي الفتى عاقبة التسرع وخاف أن يبصر به القوم وهو فى الزورق يسير به فيرموه بسهام لاطاقة له بها ولادفاع معها فاختار ان يرجع الى جحره فيبقى فيه حتى يظهر من ذلك السر خافيه

فلم يمض الا القليل حتى ترآى شخص الصياد عائدا من حيث ذهب ثم مازال يقترب حتى صار بين الزورق وبين القرب والقدور فلما رآها على تلك الصورة من الخراب والنقصان غشية من الفزع ماغشيه وضاقت الدنيا فى عينيه فوقف حيران لايدرى ماذا يصنع ثم اندفع يبكى ويتوجع

وكان حماس قد نزل اليه كأنه الاسد فى فريسته بين يديه فلم يشعر الرجل الا بيد قوية قد ضربته على كتفه ضربة قاسية كادت تكون هى القاضية فالتفت مذعوراً فرأي شيأ في طول النمر اذا النمر انتصب . وله خفة اذا هو

وثب . فترامي على قدمي الفتي يقول الأمان الأمان . أيها الشيطان . فتبسم حماس ضاحكا وقال قم أيها الجبان اني لست شيطانا ولو تأملتني ماوجدتني الا انسانا قال اذن لي فالامان أيها البطل الكريم انى ورأسك لست منهم وانما أنا رجل تاجر أبيع للص الحقير كما أبيع للملك الكبير

قال وأنا أعطيك الامان بشرط أن تعرفني من أنت ومن أين أتيت والي أين ذهبت ثم عدت وما هذه الدخائر ولمن هي تكلم وحذار من الكذب

قال أنا يامولاى رجل تاجر أعامل عصابات كثيرة من اللصوص ومن جملتها الشرذمة الآوية الي هذا المكان فأربح منهم المال الطائل وهذا الزورق مصنوع بحيث يمكنني في ساعة الخطر ان ألقى جميع مابه فى البحر بدون أن يمس الزورق سوء ولي زمان أعامل أصحاب هذا المكان ويعاملونني وهم لم يأتوا اليه الا من نحو شهر

— قال وأين كانوا قبل

— كانوا فى الصخرة الجهنمية ثم انتقلوا الي صخرة الحدبة فلم يلبثوا فيها الا يوما بليلة ثم جاؤا الصخرة المساء التى هم فيها الآن مقيمون

— وأين هذه الصخرة الملساء قال وأشار بيده هى تلك التى تناغى السماء ولكنك لاتري الا ظهرها وهي قريبة منا ولهذا لاأرى من العقل أن نطيل الوقوف هنا فاما أن تركب معى في الزورق فأنجو بك وبنفسي وأما أن تدعني أذهب وحدى فانهم يامولاى شداد أقوياء لاتنفعك معهم شجاعتك

— قال هذا لايعنيك أيها الرجل

— وهل عمرى لايعنيني يامولاي قال ثبت جاشك أيها الرجل فلو

حضر لصوص الأرض أجمع ماملكوا لك من دوني أمراً لا خيراً ولا شراً والآن قل لى كم عدة أصحابك اللصوص ؟

قال سبعة بما فيهم رئيسهم يامولاي

— قال وكيف أنت ماض وتارك هذا الزاد

— بذلك أمرت ياموقال لاى فان على أن أودع بضاعتى هنا واذهب بعد ذلك فأخبرهم بحضورها ثم عليهم أن يأتوا متي شاؤا فيأخذوها لأنهم لايتحركون حركة الا بحساب

— قال ان أمرهم اذن لمريب فهل تعلم دخيلته قال لا يامولاى والآن ائذن لى بفضلك أن أمضي لسبيلي فان لي أطفالا صغارا يموتون بموتى قال ذلك لك بعد أن تقول لى ماالمسافة بيننا وبين المدينة

ثلاثة أيام فى البحر بسير الزورق وأربعة في البر بمشى الاقدام الا أن البر أوطأ مركباً وآمن فى هذه الجهات سبيلا ...

قد عرفت ماتهمنى معرفته فخذ زورقك الآن واذهب بسلامة

فانحنى الصياد اجلالا ولثم كلمات فيها شكر ودعاء ثم أتي الزورق فركب وأعمل مجذافيه بقوة فصار الزورق فى عريض الماء وعندئذ لم يدر حماس الا بذلك الخادع قد صفر صفيرا امتلأت من دويه الآفاق وعلى أثر ذلك انحدر من الصخرة رجلان يهدران كأنهما فحلان يتبادران فحين رأي الفتى ذلك لم يلتفت الي القادمين بل بدأ برجل الزورق فسدد نحوه سهما كسهم المنون ثم رمي فأصاب مقاتله فصرخ صرخة واحدة ثم لم يئن فأيقن حماس ان سهم الانتقام قد أصاب وان الكذب قد قتل الكذاب

ثم انه استعد للقاء الرجلين وكانا قد تقدما حتى صارا منه وجها لوجه فصاح

به أحدهما يقول من الرجل ومايبتغي —

ومن أنت يالص الخنا حتي تسأل هذا السؤال ؟

ثم لم يزد على ان اندفع يتهادى ذات اليمين وذات الشمال ويشيد بهذا النشيد الذي اعتاد أن يقوله في مثل هذه الحال

انى أنا حماس ... لي في الحروب باس

من خير جنس في الورى ... تعنو له الاجناس

أزيكتي ما امتطى ... وتاجي النحاس

وصوجاني صارمي ... والرمح والأتراس

وما استتم حتى بدر اليه أحد الرجلين يلعب بالرمح لعبا ثم حاول ان يطعنه فتخلى حماس فاستجمع الرجل ليطعن الطعنة الثانية وحماس لم يهم ولم يطعن بل اقتصر على خطة الدفاع مع منازله وكان يلقي معظم باله للرجل الآخر يراقب حركاته وسكناته فثنى الرجل فتخلى حماس كذلك الا أنه عانق منازله في هذه المرة عناق مغتصب قدير فصرخ اللص صرخة المطعون ثم سقط على الارض مضرجا بدمائه . كانما جاءه الموت من ورائه . فلم يزده حماس على أن قال له بيد صاحبك لا بيدى يالص الخنا

وبالحقيقة لم يكن هلاك الرجل الا على يد صاحبه وهذا السهم الذى قتله انما سدد نحو حماس مخالسة وغدرا ولكن الفتي لحظ ذلك فارتقب حتى حان وقت الرمي فلم يرسل السهم الا وحماس متدرع بخصمه الاول فكانت الجناية على الدرع وحده

أما الرجل فانه لما رأي ماحل بصاحبه هم بالفرار فقفاه حماس بسهم اخترقه من ظهره الي صدره فألحقه بأخيه جزاء خيانته وغدره

وبقي الفتي هنيهة كما كان وحيدا على المكان وقد دخل في جنون القتال وأخذه مايأخذ الابطال في ساعة الكر والنزال فوقف يطلب الضرب وحده والطعان طلاب شجاع لاطلاب جبان

وذي جنون عاشق القتال منفرد كالاسد الرئبال
لايرتوي من مهج الرجال يقلب الارض عن الابطال
يسألها هل من فتى نزال له الردى اليوم أو الردى لي
انى أنا بالموت لا أبالي

وفي هذا الأثناء أقبل ثلاثة آخرون من اللصوص يتعدون من أعالي الصخر وكانما نظروا الى رفيقيهم وقد أصابهما من بأس حماس ماأصاب. فلم يدر الفتى الا بالسهام تساقط حوله تباعا آتية من عل فتزحزح قليلا قليلا حتى خرج عن مرماها ثم تخير لنفسه مرتقما من الصخر يحتمي فيه ويرمي منه فصعد اليه ثم شرع يرسل سهامه التي لاتطيش ولا تخيب فأصاب واحدا منهم في أم فؤاده فسقط ميتا. فحين رأى الآخران ذلك أيقنا أن جنود الملك على المكان. وانهما حيث صار رفاقهم صائران. فألقيا سلاحهما ونزعا ثيابهما ثم انغمسا في الماء فلم يخرجا منه الا على الزورق للطيران. وهما لايصدقان بالنجاة ويظنان أن كل لجة جنديا من جنود السلطان

فلما شاهد حماس ذلك ورأى المكان قد عاد خلا له نزل عن مكمنه مسرعا يتقدم نحو الصخرة الملساء مستخفا بمن بقي من الاعداء حتى اذ صار تحتها رفع عينيه يتأملها فاذا بها كتلة واحدة في صورة البرج لاتصل الايدي اليها ولا تثبت الاقدام عليها فوقف يدعو من فيها للنزول فالنزال متغنيا بنشيده الذي يقوله في مثل هذا الحال

اني أنا حماس لى في الطروب باس
من خير جنس فى الورى تضو له الاجناس
أريكتي ما امتطى وتاجي النحاس
وصولجانا صارمي والرمح والاتراس

وعندئذ أشرف من ذروة الصخرة رجل كانه زنجى لكثافة شعر وجهه فقال من الرجل وماذا أتى بك الى هنا؟

قال أنا من أنا أيها الرجل وقد أتيت لالحقك باخوانك الخمسة ثم لى ولسابعكم شأن

— وأى ثار لك عندنا ياسيدى « من أنا » ؟

— وأى ثار للناس عند الوحوش غير كونها مضرة يجب ازالتها فاما أن تنزل الي أيها الرجل مسلما صاغرا واما أن أصعد اليك فاجعل هذه الصخرة قبرك

قال اما ان هذه الصخرة تكون قبري فهذا ما اشتهيه بعد عمر طويل فان فرعون على فخامة جاهه لو علم بها ما طلب أن يدفن الا فيها وأما انى أنزل اليك وأزايل هذه الصخرة ولو لحظة فهذا يحول دونه حفظ العهد وأداء الامانة

قال وما هذا العهد وهذه الامانة أيها الرجل قال هذه أسرار أخفيها . وشؤون لادخول لك فيها . فان شئت فاذهب بسلام وان شئت فابق حيث أنت حتى يأتيك حينك فى الظلام . ثم وقف كالمتحمس وراء حصني وترنم بهذا النشيد

اني أنا كلكاس * البطل الدواس

تنجدني فطانتي والرأي والمراس
لافي اغتيالي حيلة ولا عليّ باس
وصخرتي في بعدها كأنها البرجاس
فان أردت فانصرف أوفابق ياحماس
فلست منها خارجا حتى يزول الراس

ثم انه احتجب في صخرة كما يمعن الضب في جحره وغادر حماس جبران قلقاً ينظر من جهة فيما يكون من أمر تلك الاسرار ومايعانى كلكاس مراسه من الشؤن الكبار ومن جهة أخرى يمعن في الصعود الى الصخرة كيف يكون وهي كأنها عمود عال طلي بالصابون

الفصل السابع

(في طلب الاميرة)

كان في جملة الاجانب الذين ذهبوا تحت كل كوكب في طلب الاميرة يفتشون عن مكانها ويعللون النفس بوجدانها شقيق ملك العجم وقد تقدم لنا القول بأنه خاب في الامتحان فكان نصيبه مما أمل نصيب سائر الاقران

وكان فتى جميلا جريئاً كما تحب المعالى وتهوى العظائم فحين قال الملك للقوم ماقال وكان الامير معهم يسمع ويري شجعته رؤية الاب الحزين وجزع على ذلك الكنز الثمين فخرج مسرعا فطلب من أحد الخدم أن يجمعه برئيس الركائب الملوكية فجاءه الخادم به فنزع الامير خاتما من الياقوت كان في أصبعه وناوله الرجل قائلا هذا الخاتم أيها الرئيس من أنفس ماحمل الملوك والسلاطين وأنا

أودعه لديك على شريطة أن تذهب في الساعة الى المرابط العامرة لاختار من خيل الملك جوادا أركبه فاذا أنا عدت سالما رددت اليك الجواد ولم آخذ الخاتم واذا عاجلني حيني في سفري وهلك الجواد لهلاكي كان لك التصرف في الوديعة لذلك فتبيعها وتشتري من ثمنها ماشئت من بدل لامانتك

فأخذ الرجل الخاتم وتأمله فاذا به يسوى دواب الملك جمعاء فالتفت ينظر هل من مطلع عليهما ثم أشار للامير أن يتبعه فتبعه وسارا تحت ستار الظلماء حتى وصلا الاصطبل العامر وهنالك فتحت له الحجر واحدة واحدة واذا في احداها ثلاث افراس من أكرم ماتتخذ الملوك للرباط أحدها فارسي والثاني أشوري والثالث مصري فأراد الامير أن يختار فقال له الرئيس لو أخذت المصري يامولاي كان ذلك أخف بلية وأدنى الى السلامة قال ولم قال لانه للاميرة خاصة وما دامت غائبة كما تعلم فالملك لايسأل عنه فرارا من ذكراها برؤيته قال وأنا قد تفاءلت فلا آخذ الا هذا المصري لعل الاميرة أن تعود عليه قال هو لك يامولاي ثم قرب منه مربط الجواد وهو يحكمه اسراجا والجاما حتى تهيأ للركوب فركب الامير وسار يريد أن يسبق الى لادياس النهار فما زال يصل السرى في ليل غاب نجمه وكثف غيمه حتى طلع الصبح عليه وهو خارج المدينة في أماكن صخرة يستعصي على أرجل الخيل دوسها فيها من غير خطر

وكانت المدينة لم تغب بعد عن ناظر الامير الغريب وان هو بعد عنها مسيرة ساعتين على الجواد فحين رأي انه يسلك طريقاً ليس بالمأمون وانه قطع كل تلك المسافة ولم يمر بفياض الحدبة مع علمه انها لاتبعد كل هذا البعد عن البلد خشي أن يذهب سعيه سدى فثني عنان فرسه يريد أن يتخذ

له طريقاً غير الذي هو فيه فالتفت فوجد وراءه رجلا سوقة لا يرى له شأن وان بدت مخايل الشجاعة عليه فمجل الرجل اليه يقول لعلك ضال أيها البطل فانما تسير على الدرب الاصفر وهو مملوء من المخاوف والاخطار فقل لى الي أين تريد الذهاب وأنا أدلك على الطريق قال بل بغيتي هذا الدرب الاصفر قال اذن فانت من العصابة قال نعم

قال ولكن هذي أولي مرة أراك .قال وانا أيضاً لم أرك الا اليوم فلعل أحدنا قد دخل حديثاً فى العصابة والآن قل لي ما مخاوف هذا الطريق قال ليس فيه مخاوف وانما حسبت أنك أجنبي عنا فأردت أن أرهبك كما وهمنا على الناس من قبل فلم يعد أحد يستطيع المسير على الدرب الاصفر قال وما وقوفك الآن هنا قال ألم ترني كدت أرجمك من حيث جئت لولا أن علمت أنك من رجالنا قال اذا فأنا أشكر لك سعيك وأعدك ثناء جميلا حال التقائي بالاخوان

ثم ان الامير اندفع يسير وهو يحمد تلك المصادفة الحسنة وعلى الخصوص قوله للرجل في ابتداء المحادثة « بل بغيتي هذا الدرب الاصفر » اذ لو لم يلهم هذا الجواب ما علم بوجود تلك العصابة التي لا يبعد أن يكون لها شأن في الحادثة عظيم وكان قد عرف من كلام الرجل واشاراته أين يبتدئ الدرب الاصفر فأطلق لجواده العنان فيه حتى احتجب بين صخوره وفيافيه

الفصل الثامن

ساكن الصخرة

مازال بيروس منذ وقعت الاميرة فى أسره يلين لها ويخاشن ويشرح هواه كما يشرح المظلوم شكواه أو السائل فقره وبلواه وهي عنه فى صمم لاترثى لحاله ولا تلقي بالا لاقواله حتى انتهى الرجل الي اليأس فانقلب العاشق فصار أحقد حاقد واستحال الغرام الي عداوة وانتقام فعقد بيروس العزم على الفتك ببنت عمه قبل أن تهتدى حكومة الملك له وجماعته فترجع لادياس الى العز القديم وعندئذ يعطاها من تشاء وتختار ولا يعطى هوالا عاجل الدمار

وكان هناك عاملان مهمان يستحثان في الفتي نية العدوان. جنون اليائس وخصوصا ان كان من أهل العشق كما هي حال بيروس. ووجود تلك الفتاة الخائنة هيلانه أكبر قريبات الاميرة وجملة الخبر عنها الي الآن أنها كانت الشيطان السائق للادياس الى الشرك المنصوب من أجل ثار لها عند بنت الملك وهذا الثار لايتعدي شخص بيروس فان هيلانة كانت تحب هذا الشقى ولا تكتمه حبها اياه وذلك قبل أن ينزل عليه سخط الملك فلما غضب بوليقراط على ابن أخيه وأخذ ماله وجرده عن القابه فر من العاصمة واختفى تاركا هيلانة على العهد تزداد وجدا على وجد فما لبث أن استعملت كل حول وحيلة لمواصلة عشيقها فى الخفاء

أما بيروس فكان من الغرام ببنت عمه بحيث لايمكنه أن يملك هيلانة فؤاده بعد ماوقف على لادياس وقفا لاشرط فيه ولا حاكم غير الهوي ينفيه

وكنت اذا التمست لكم بديلا * أعاتبكم به عز البديل

الا أن الفتى لم يكن يبغض التي تحبه كما انه لم ير من الحكمة ان يأبى على هيلانة جمائلها وخدماتها المستقبلة وهي أعظم القرينات منزلة في القصر ولا سيما في فؤاد الأميرة فبقاء المواصلة ولو سرية بينها وبينه في منفاه أمر فيه نفع وليس فيه ضرر وبالاقتصار فان بيروس خدع هيلانة حتى نال بغيته بحسن مهارتها وجميل سفارتها

حتى اذا مضت الايام على وقوع لادياس في قبضة عدويها بدون أن ينجح بيروس فيما حاول من استمالتها اليه وجدت هيلانة مجال العمل فاسعة فعملت بكل دهائها ومكرها حتى أخرجت لادياس من قلبه بسحرها ودخلت هي ظافرة الغرام تتخذ ذلك القلب آلة للانتقام

فلما كان صبح اليوم الذي دهم الاشياء فيه مادهمهم انتبه بيروس من منامه وقد صمم ان يقتص من بنت عمه أشنع قصاص فجمع أصحابه وقال لهم أيها الاصحاب اني خارج اليوم في بعض الشؤون فاذا طلع القمر ولم أعد فادخلوا على لادياس فخذوا أنفسكم منها بقوة ثم يتقدم أحدكم فيريق دمها الاثيم قالوا سمعاً وطاعة ثم خرج بيروس وسار تاركا الفتاة على أعظم الاخطار وهي تستجير بهيلانة فالتجأت وتود لو وجدت سبيلا الى الانتحار فراراً من هول ذلك العار

ثم كان ما كان مما ذكرناه ولم يبق في الصخرة سوى كلكاس وهيلانة وقد أبى الرجل ان ينزل الى حماس بل تركه غضبان حائراً يصول كل مصال . ويطلب الطعن وحده والنزال والتفي الى داخل الصخرة فقص على هيلانة الخبر فاشفقت واضطربت واوجست خيفة من سوء المقبي وكان الليل قد أقبل او كاد

فشرعت الخائنة تطلب من كلكاس بالحاح أن يفعل ما أمره به بيروس وان ينوب عن سائر اخوانه في امضاء اشارة الرئيس وهو يتثاقل عن تلبية دعوتها السابقة الاوان ويخبرها انه مادام القمر لم يطلع فان يديه مغلولتان ويدخل معها في البحث فلكية ما أنزل الله بها من سلطان وكان القمر حقيقة قد طلع وبدا نوره والتمع فحينئذ عيل صبر الفتاة فطفقت تتهدد كلكاس وتوعده وتمثل له غضب بيروس وانتقامه في أفظع الصور حتى تملكها الخوف فاستل خنجره ودخل على بنت الملك حجرتها وهو لا يكاد يملك قدميه أو يمسك قسماه اشفاقا من هول ماهو قادم عليه لان الرجل كان رحيم القلب سليم النية بقدر ما كان جريئاً مهذارا الا ان هيلانة كانت خلفه تدفعه الى الجريمة كأنها شيطان القاتل المسلط عليه حتى صار أمام لاديا س وكانت الفتاة قد سمعت الحديث كما جرى بين بيروس وأصحابه في أول النهار وبين كلكاس وهيلانه في آخره فحين دهاها الرجل لم يزدها بقصده علما بل ألفاها بهيئة قيام وفي خشوع تام تصلي لآلهتها وتسأ لهم حسن الختام

﴿ الفصل التاسع ﴾

(حماس في الصخرة)

كان حماس قد قضي بقية النهار بأسفل الصخرة لم يبرحها لحظة واحدة حتى اذا جاء الليل توارى خلف حجر يعصمه من بغتات العدو في الظلام ثم أقام يرقب فلم تمض ساعتان من الليل حتى طلع القمر يرسل أشعته على الصخور فتضيئها من كل جانب فاستبشر الفتى لهذا الملاك الهادى والزائر المؤنس ثم بدت منه التفاتة فاذا هو بظل يقبل من بعد وكأنما يطير طيرانا من سرعة

السير فازداد حماس أنسا على أنسه وهدأ النفس على حفيد جديد ولكنه دخل في الحجر كل الدخول بحيث صار منه بالمخبأ الامين

وما هي الا دقائق قليلة حتى تجسد ذلك الظل فصار انسانا طويلا عريضاً يتقدم نحو الصخرة وثبا كأنه الليث الثائر وهي عرينه ثم اذا هو بأسفلها وقد صفر صفيرا دوى له الفضاء فاخرج حماس عندئذ رأسه وخالس الرجل نظرة فرأى له هيئة أصحابه الذين عرفهم في أول النهار فهمّ بالخروج اليه ليلحقه بهم ولكنه رأى سلم حبل يدلى به من أعلى الصخرة ليصعد الرجل عليه فخشي اذا هو تحرك أن يتنبه له من في الصخرة فيرفع الحبل بعد ما أرسله فأمهل حماس غريمه ريثما نزل الحبل تماماً ثم خرج اليه وهو لا يشعر به كما يخرج الذئب الى الشاة وكان الرجل قد تعلق بالحبل أو كاد فتعلق حماس معه وقد أمسك الحبل بيد وغرس بالاخرى خنجره المسلول في أم فؤاد اللص فنزل يهوى جثة لا حراك بها واستمر حماس صاعدا حتى بلغ مدخل الصخرة وهناك استقبله كلكاس وهو يحسب انه بيروس صاحب الاشارة وحامل الصفارة فانتصب حماس امامه كانه عزرايل قد أتى بلا ميعاد ثم قال له بصوت أنكر من صوت الرعد . من الرجل وماشأنك؟

— فأخذ كلكاس الذعر شر مأخذ فوقف يتلعثم بكلمات متقطعة وأسنانه يدق بعضها بعضاً من الرعدة وهو يقول

— عفوا أيها المالك ان الاميرة بخير

— لا تؤذني أيها الشيطان

— لعلك عفريت بيروس

— سامحني ياسيدي حماس .الي غير ذلك من لغو الذهول حتى أضحك الفتى حاله فتركه وتقدم في جوف الصخرة فوجد حجرة فيها قليل نور فدخلها واذا هو بمنظر هائل اذ رأى فتاتين احداهما قتيلة لم تجف دماؤها بعد والاخرى قائمة عند رأسها وفي يدها خنجر تقطر صفحتاه من دماء تلك الفتاة فصرخ حماس بما يقول — من أنت أيتها الشريرة وما هذا المشهد الفظيع فألقت الفتاة سلاحها وقالت حلمك أيها الرجل فليست الشريرة الا طريدة الحياة هذه (وأشارت للفتاة القتيلة) وأنا انما قتلتها مدافعة عن عرضي وحياتي قال وما حديثكما قالت أنا بنت بعض الناس وقد وقعت في أسر عصابة من الاشقياء يرأسها طريد الملكة بيروس ثم انها حدثت حماس أخبارها من يوم وقعت في قبضة العصابة الي الساعة التي هي فيها ثم قالت واعلم أيها البطل انه لولا بعض رحمة في قلب الرجل الذي مدلك الحبل لكنت الآن مكان هذه الاثيمة الظالمة وكانت مكاني أنا البريئة المظلومة فانها مازالت تدفعه الي الجريمة دفع الابالسة الناس الى الشر حتى دخل عليّ ليقتلني كما هي اشارة بيروس فجاءني كسلان متراخيا كانما يريد أن يمهلني ماستطاع امهالي وفي هذه الاثناء سمع صفير الصفارة فخطفت هذه الشقية الخنجر من يد الرجل وخرج هو لحبل الحبال كما هي العادة فكان من حسن حظي ان الخنجر سقط من يد كلكاس وهي تحاول أخذه منه فوثبت فسبقتها الى موضعه من الارض . ثم حملت عليها وطعنتها به الطعنة القاضية واذ كنت قد سمعت طرفا من جدالك في هذا النهار مع كلكاس مما جعلني اطمئن بعض الشيء فقد وقفت وفقتي التي رأيتني عليها الخنجر بيدي وأنا مستجمعة لاقتل بيروس فان لم أتمكن فنفسي

وكانت الفتاة تتكلم ولباس الجرم يخل عن جسمها الطاهر. كما تماط الستور عن تمثال بديع فاخر. فما استتمت حتى رفع حماس عينيه فأبصر ولم يكن رأى من قبل شيأفاذاهو بملك يبرىء نفسه وهو البراءة متجسمة. ويتكلم ولو سكت لكان الطهارة متكلمة. وكانت لادياس قد وصفت من قبل لحماس فحين تأملها عرفها بتلك الاوصاف. وسبقت فراسته لسانها الي الاعتراف. فدنا منها وهو يقول بأعذب هتاف

يامـلـكا فوق الـثري قد هام فيه الناس
ان صح اخبار الورى فأنت لا دياس

فلما سمعت الاميرة هذا الكلام وكان قد داخلها من الفتى ماداخل الفتى منها أقبلت نحوه صامتة وعيناها تتكلمان فنظرت اليه نظرة لا يقوى على مثلها جنان. ولئن أطاقها فؤاده فلانه من حديد أو صوان. ثم قالت مجيبة له بأعذب بيان

أنت الجميل المفتدي والبطـل الدواس
وأنت لي من الردى وم الحنا لبـاس
فلست أنساها يدا أسديت ياحماس

قال وهل تعرفين اسمي يامنية حماس قالت عرفته منـذ النهار اذ أنت تحت الصخرة تنشـد نشيدك تدعو كلـكاس للنزول قال لقد ذكرتنيه فأين هو قالت لاينـل كلـكاس منك اذى فانه بالـكرامة أحق يامولاي ثم انهما برحا الحجرة ففتشا عن كلـكاس فلم يجدا له أثرا في الصخرة وكان الحبل مدلي لايزال فعلما انه نزل وفر على عجل فالتفت حماس عندئذ الى الاميرة وقال لم يبق الا أن نحذو حذوه فننزل نحن أيضاً قالت الامر لبطل الصخرة الملساء

فمسك حماس الحبل بيمناه وجعل اليسرى سند لادياس ثم نزل متئـدا

محترسا كمن ينزل بحمل من زجاج حتى مس الارض فاستقر به وبالاميرة النزول وأول ماثقلت لادياس القدم تعثرت في جسم بين اللين والصلب فذعرت لاول وهلة وارتدت مجفلة فدعاها حماس لتطمئن قلباوأعلمها أن تلك جثة شقي من الاشقياء فدنت حينئذ منها وتأملتها فعرفت القتيل فرفعت عينها نحو السماء مبتهلة للعناية ثم قالت مامعناه

ياسماء اللطف شكرا قتل الباغي وديسا
لك مجرى العدل طراً وعلينا أن نقيسا

فسألها حماس ومن هذا الباغى يامولاتي قالت هذا بيروس ابن عمي ومختطفي ورئيس العصابة الهالكة قال اذن فقد قطع رأس الافعي وأصبح الطريق مأمونا من هذا الصخر الي القصر

وكانت لبيروس ذؤابة يعتنى بها ويبالغ فى تسريحها وتطييبها .بقدر مابالغت الخلقة في تذهيبها .فأعجب حماس بها وأراد ان يتخذها علامة على ماجرى له فى ذلك اليوم مع الاشقياء وذكرى لوقائع الصخرة الملساء فاستأذن الاميرة فى ذلك فأذنت له فاستأصل الذؤابة من جذورها ثم تمنطق بها فكفت ووفت. والتفت بعد ذلك الي لادياس فقال لها الآن اجعليني أيتها الاميرة زمامك وثبتى أقدامك ولا تبصري الا قدامك فان ذلك أمضى سلاح يتقلدة الانسان في مكان مخوف مثل هذا المكان قالت سمعاً وطاعة ثم مشي البطل المصري ومشت أميرة ساموس بجنبه كأنها ظله المديد أو رمحه السديد وهو يتوجه بها حيث وصف له ذلك الصياد وينظر في سهل الطرق ويرتاد.فيهبط الاغوار ويعلو الانجاد وتسلمه الهضاب الى الوهاد. حتي أقامه السرى في طريق مستوية منبسطة يشرف عليها الصخر من الجانبين فكانها مضيق بين جبلين

وكان قد ذهب من الليل ثلثاه والقمر لا يزال ملتمع الضياء . وهاج السراج في الارض والسماء . فمال بالاميرة السري . ومالت الي الكرى . فاشتهت من حماس لو سامحها في الاضطجاع ولو هنيهة من الزمن فلم ير من باس في تلبية هذا المقترح وفتش للحين عن جانب من الارض يصلح لضم ذلك الجسم الناعم فلما وجده عرضه عليها فاضطجعت واضطجع هو أيضا دون قدميها فأخذهما كليهما النوم فناما مثقلين بالمتاعب . ثملين من كأس السري الناصب

فحين تملك حماسا المنام . وسرت روحه من دنيا الاوهام الى عالم الاحلام رأي في نومه كأن الشعب في سيديس (عاصمة مصر يومئذ) يلبسه تاج البلاد ويجلسه على عرشها ثم كأن الامة بأسرها موكب له يسير فيه الي الهيكل الاعظم ثم كأنه دخل الهيكل فمثل سدة الآلهة فحمدهم وأثني عليهم ثم هم بأداء يمين الطاعة والامانة لهم فسمع عندئذ من وراء الحجاب صوتا يقول « ليس للملك يمين وعند اللوح الخبر اليقين » فتذكر حماس على الفور أقسامه ووعوده للوح فانتبه من نومه مبغوتا مذعورا فنظر الى لادياس فاذا هي لا تزال في أسر النعاس فحدثته نفسه المضطربة أن يرجع الي حيث ترك اللوح فيأتي به قبل أن تهب الاميرة من رقادها فنظر اليها نظرة معتذر خجل ثم تركها في حفظ الآلهة وانطلق يعدو في طلب اللوح فلو رأيته حسبته يقظان وهو نائم لم يستفق بعد من النوم وانما تلك حال كانت تعاوده في منامه فيبلغ الي مثل هذا الحد في أحلامه

(الفصل العاشر)

كيف انتبهت لادياس

بينما كان حماس يخبط في أحلامه ويأخذ ليقظته من منامه . وقد حل سلطان النوم عقدة من أقدامه. فانطلق مستعجل الخطو حثيث الهدو يكفر عن ذلك السهو كان فارس آخر لايقل عنه حسناً وجمالا. ولا تكاد العين تفرق بينهما شكلا واعتدالا. يطلق لفرسه فى الطريق العنان .ويتقدم بسرعة نحو ذلك المكان. حتي اذا صار على مقربة من مرقد الاميرة جفل فرسه وكاد يكبو به لولا شدة احتراسه فكان ذلك للفارس بمثابة الانذار . فأخذ لنفسه من الموقف الحذار .ثم أرسل النظرات تباعا فوقعن على انسان قد توسد الارض فتوهمه لاول وهلة قتيلا فترجل من فوره ودنا منه ثم حققه في سنا الفجر فخيل له بادىء بدء ان المكان للآلهة وهم عليه رقود. وان الفجر انما يستمد لألاءه من ذلك العمود الممدود. فواصل التأمل فاذا هو بفتاة ماخلق الجمال الا لها وعليها من الحلل والحلي مايمثل الملك وشعاره وتبين عن عز الامارة فلم يقم بنفسه شك انها لادياس .تأخذ لعينيها بقسطيهما من النعاس. ففرح أعظم الفرح بقربها وتقدم فاضطجع بجنبها ثم أقام يراقب حركاتها وينتظر انتباهها من طويل سباتها

وفى هذا الاثناء لمح الفارس عند قدمي الاميرة سيفا ملقى فتحرك فأخذه وتأمله ثم تقلده ووجد مكان السيف أثر رقاد فعلم أن السلاح سلاح حماس ولكن لم يعلم أين ذهب منقذ لادياس

وكانت الاميرة قد هبت من نومها فالتفتت الي صاحبها وقالت أين نحن الآن ياسيدي حماس قال فى الدرب الاصفر يامولاتي وبيننا الآن وبين المدينة

مسيرة يوم كامل فحين سمعت لادياس هذا الصوت أنكرته مسامعها كما أنكرت عيناها هيئة الفارس من أول نظرة ففرت عنه كالمنبغتة ثم قالت من أنت أيها الفارس ومن جعلك مكان البطل حماس قال أنا هوذا يامولاتي أنا حماس بعينه وما مسخت ولا جعل أحد مكاني ولكن شبه لك فتأملته الفتاة ملياً وكانت فيه مشابة من بطل الصخرة الملساء فما ازدادت الاميرة الا انبغاتا وهمت أن تتهم الظلام وأن ترى في ثياب الفارس منقذها الهمام .فلما آنس الفتى منها ذلك أقبل عليها ملاطفاً يقول وحماس أيضا اسم وضعته لي أوهامك يامولاتي ولا أحسبك الا قد استفقت مما كنت فيه من الذهول فكادت هذه العبارة تخرج عقل الفتاة من رأسها وألفاها الفتي غادية على خطر الجنون فأردف في الحال بأن قال مابالك يامولاتي باهتة باغتة كأنك تشكين في أمري ألست سيداً لمصابة الاشقياء ؟ ألست بطل الصخرة الملساء ؟ ألم يكن لي ولاعدائك الشأن العجيب ؟ ألم أدخل عليك الصخرة وكلكاس فيها فحين رآني لم يملك ليديه حراكا ولا لقدميه انفكاكا . ألم أجدك أسيرة ففككت . ومهددة فأمنت ألم نفتقد كلكاس بعدذلك فما وجدناه ؟ فمابالك وهذه دلائلي وأماراتي لا تزالين لي بالجحود ولا تعودين لانسك المعهود فراجعي يامولاتي عقلك واعلمي انك ما كنت الا في خيال وما اختبلك الا رؤية تلك الاهوال والآن أنت بحمد الآلهة ناجية سالمة وعن قريب على أبيك الملك قادمة فلا تجعلي جزائي عما قاسيت بالامس . أن يقال ردها وبهامس

وكان الفتى يتكلم ولاديا س تسمع ولا تكاد تعي من شدة الدهش الا أن ماأشار اليه الفارس من حوادث الامس قد أنزل عليها بعض السكينة كما أن مشابهته لحماس كانت تدعوها للطمأنينة فما لبثت أن اتهمت ظنونها

وأوهامها فرجعت الى الفتى آمنة مطمئنة تسأله ومن أين لنا هذا الجواد ياسيدى حماس قال لقد آن أن يمحي هذا الاسم من لوح خاطرك الشريف اذ ليس له فى الحقيقة وجود الا فى وهمك قالت فكيف أسميك اذن قال الامير بهرام شقيق ملك ملوك ميديا وفارس فاهتزت لادياس لهذا الاسم وهذا اللقب وانحنت فحيت الامير ثم قالت من أين لنا هذا الجواد ياسيدي حماس قال لا حول لنا الآن فى هذا الذهول ولا حيلة فتأملي الجواد أيتها الاميرة لاتجديه الاجوادك فدنت لادياس من الفرس فوجدته حقيقة جوادها المهدى اليها من مصر فقالت ومن أعطاك اياه قال أخذته من مرابط الملك لهذه الغاية والآن لم يبق يامولاتى الا الركوب لعلنا نختصر من الزمن فلو علمت حال الملك من الوجد عليك لاخترت أن تطيرى اليه مع الريح قال هذا وأخذ بيد الفتاة فاركبها ووثب بعد ذلك فصار خلفها ثم أطلق للجواد العنان وهو يهني النفس على هذه الغنيمة الباردة

(الفصل الحادى عشر)

{ بوليقراط والدهر }

قد بلغ من شقاء الملك بوليقراط على أثر اختفاء فتاته أنه زهد فى الدنيا ولذاتها وتسلى عن الامارة وطيباتها وأصبحت نفسه على نعيمها الموفور تحسد سائر الانفس على كافة حالاتها . وبالجملة فقد حقت كلمة الدهر على طاغية ساموس وعلت الحوادث فوق عليائه . فدهمته بضراء أنسته ما كان من سرائه

الا ان البحث عن الاميرة فى كل ناحية من نواحى المملكة كان كل يوم فى ازدياد خصوصا أورستان فقد كادت سفنه تقلب الامواج . عن تلك الدرة الساقطة من التاج

وكانت نتيجة البحث تعرض على الملك ومجلسه فى كل يوم بل في كل ساعة فلا يزداد الا يأسا على يأس من لقاء فتاته العزيزة بل حياته الغالية

وللوالد العذر فانه لم يقبض فى خلال ذلك الشهر النحيس الاعلى رجلين قليلى الشأن لايمكن أن يبنى على وجوههما أدنى أمل بكشف الحقيقة. أما أحدهما فأخذ فى البحر وفتش زورقه فوجد بأسفله ثقبا صناعيا يفتح لدى الحاجة وينسد لدى الحاجة كذلك فكان ذلك مجلبة للريبة في أمره فقبض عليه وسيق الي السجن .وأما الآخر فوقع فى قبضة الشرطة حديثا وهو وافد على البلد من طريق مهجورة مريبة وبهيئة منكرة مشككة فلما سئل تظاهر بالبله والعته فلم يزد النفس الا جناية عليها وكان نصيبه من البلاء نصيب صاحبه الصياد وقد تعبت الحكومة وتعب رجالها فى بلادة الرجلين وبلاهتهما وتصميمهما على الجحود والانكار فاكتفت بتركهما فى السجن وكان منها عليهما نسيان طويل

فبينما الملك ذات يوم كالعادة يشاور أهل مجلسه ويشاورونه في خطبه الجلل وقد ظهر الضعف عليه وبان وأخذ يهرم قبل الاوان لم يدر الجميع الا بالقيامة قدقامت فى المدينة وكان الوقت الضحي والحركة فى الطرق والاسواق عظيمة فساعد ذلك على نمو تلك الضجة الهائلة حتى بلغ صداها عنان السماء

فأشرف الملك من نافذته ينظر ماذا طرأ وأشرف من معه من سائر النوافذ فاذاهم برجال كالرياح أوأسرع جريا ووجوههم القصر فاستبشر بوليقراط برؤيتهم ووجد يعقوب ريح يوسف من أول وهلة ثم ماهى الا هنيهة حتى اقترب الرجال من القصر كل الاقتراب ثم سبقهم الي الجدار المشرف منه الملك رجل كأنه سارية فوقف ثم صاح بصوت كادت تميد له جوانب القصر يترنم بما معناه

بشراك يامالك البلاد ان الذى ترجوه عاد
عادت أميرتنا اليك ولم يطل منها البعاد

فحين سرت هذه البشرى في حذوق المسامع السلطانية لم يكن على الملك ساعتئذ الا خاتم في اصبعه من أنفس ماحمل الملوك والسلاطين فرمى به الى البشير فتلقفه وانقلب شاكرا داعياً

ثم تلت وفد البشرى وفود من الشعب تترى مهنئة الملك بأناشيد المديح من كل وزن ومعني مليح

ثم اقبل رسول من الامير بهرام يحمل رسالة مختومة منه الى الملك فقوبل من باب القصر الي الحجرة السلطانية بالوجوه الباشة والصدور الرحبة حتى اذا مثل بين يدي الملك رفع اليه الرسالة فتناولها وقرأها فاذا هى قد جاء فيها مامعناه

مولاي الملك الموقر

قد توفقت بفضل الآلهة ويمن تضرعاتك الأبويه المستجابة لوجدان الاميرة العزيزة وأنقذتها من يد الشقي بيروس ورجاله بعد شدائد جسيمه وأهوال عظيمة والآن نحن عند الباب الثاني للمدينة ننتظر من حكومة جلالتك ان تهيء لنا موكب الوصول الى القصر وهناك أرد الى الملك فتاته الكريمة كما أخذتها من يد العناية محفوظة بأكمل السلامة وأتم الرعاية

التوقيع الامير بهرام
شقيق ملك ملوك ميديا وفارس

فلم يكتف الملك بقراءة الرسالة في نفسه بل تلاها على الملأ بلسان تثقله نشوة الطرب فاشتغل المجلس للحين بتهيئة الموكب المطلوب وحملت الى الأميرة

والى منقذها الامير ملابس الزينة اللائقة بمقامهما الخطير . هذا بعض ما اتخذت الحكومة من التدابير . وما أعدت من الاحتفال لاستقبال الاميرة والامير فما بال الشعب وقد عرف القارىء مكان لادياس عنده . وكيف كان يحبها جهده ولا يريد أن يولى سواها عهده فلا تسل عن مجالى أفراحه . ومظاهر سروره وانشراحه . وحدث بما شئت عن معالم الانس فى المدينة وما أضفي عليها توا من حلل الزينة

فلم يكن الاصيل الا والبلد قد ازين والموكب قد سار بين اعظام الخلائق والاكبار

وكان الملك في انتظار وفود الاميرة بالقصر فحين أقبل موكبها استقبلها هو وسائر أهل مجلسه كما يستقبل الشحيح كنزه المفقود . أو العليل الفانى عائد الوجود . وهنأها الجميع على نجاتها من شر الاشقياء ثم أقبلوا على الامير بهرام وكان متوجا بأكاليل الغار . علامة على الفوز والانتصار . وعنوانا على كسب المجد والفخار . فهنؤه كذلك بخروجه سالما غانما من تلك المعارك وشكروا له منته العظيمة على الملك والمملكة بانقاذ الاميرة الفخيمة ثم خاطبه بوليقراط فقال « أيها البطل المجامل وغداً أقول أيها الصهر الكريم لقد أعدت للوالد مهجته ورددت على التاج درته ومثلك يرجي لهذا ولمثله وهذا الكنز على عظم قيمته . سوف يقدم لك برمته . فقد أصبحت آمل أن الحكومة والشعب يوافقاننى على الاكتفاء بما كان لتقرير القران وان نكن قد حصلنا على شرط واحد وبقى شرطان اثنان » فقام الامير على أثر ذلك فقال « أعد من سعودي أن مولاى الملك قد اختارنى للشرف السامى شرف مصاهرته العلية وانى بما نلت من جليل ثقته لأسعد الا انه برغمى أن يعلم الملك أن مامر على الاميرة

من الحادثات واختلف عليها من الاهوال لا يزال له أثر خفيف في قواها العقلية فلقد عهدتها تفقد الصواب في بعض الاحيان فتهذي بوساوس أعجز عن فهمها . وتذكر من الاسماء مالا وجود له الا في وهمها . ولكني أبشر الملك بأن هذه الحال . وشيكة الزوال . وانه لا يمضي على الأميرة أيام . حتى تحصل على الشفاء التام . فقد ذهب عنها الآن معظم ما كانت فيه من الذهول المتاخم للجنون وأصبحت تتماثل . وتنبعث قواها وتتكامل . فكيف اليوم وهي موفورة الراحة والهناء مردود أمرها الي عناية الاطباء » فاستتم الامير حتى عاد الكدر فاستولى على الملك بوليقراط واشتغل سائر أهل المجلس بهذه الحادثة الجديدة وأخذ الكل يسألون الاميرة عن أمور حدثت لها في صباها فأجابت أحسن جواب ولم تخرج قط عن دائرة الصواب حتى جاء ذكر الحادثة التي نحن بصددها فأحسنت الوصف ووفت الشرح وما زالت تفصلها للمجلس تفصيلا من ساعة أن وقعت في أسر الاشقياء الي ساعة أن دخل عليها حماس . فلما نطقت الاميرة بهذا الاسم كاد الملك يجن لذكره وكاد جنون أورستان يكون أشد وأعظم فصاحا معا وهل خرج حماس من بطن الحوت ثم أردف أورستان بأن قال أما الامير فلا يخلو من مشابه من حماس وأما أن يكون حماس حيا يرزق فهذا مالا أصدق ولو لقيته وجها لوجه وكلمته فما لفم وحينئذ فلا أحسب الاميرة الا ذاكرة ما كنت أقوله للملك عن حماس وهي حاضرة فعلقت اسم ذلك البطل وهي الآن تهذي به في جملة خطراتها

ثم انتهت الكلمة الاخيرة من بعد ذلك الى الطبيب الخاص وكان في المجلس فلم ير في أحوال الاميرة مايدعو الى القلق والفزع بل أبدى أن بضعة أيام تكفي لذهاب الروع عنها فلا تلبث أن تعود الي ما كانت عليه من تمام

صحة العقل والجسم وعلى ذلك انفض المجلس بعد أن أمر الملك للامير الفارس بالمقر اللائق بمقامه ووكل بخدمته من يعتنون بأمره ويبالغون فى اكرامه

الفصل الثانى عشر

(قرية الوحش الهائل)

لما بلغ حماس الصخرة الصماء وكانت الشمس فى رونق الضحى افتقد اللوح فوجده حيث تركه زوجد عنده ذلك الزاد وذا الماء فتأبط من فوره اللوح وحمل ما يكفيه هو والاميرة من الطعام والشراب وحينئذ ذهبت السكرة وجاءت الفكرة وأدرك الفتي أنه أساء الى لادياس اساءة قد تتناول حياتها بتركه اياها وحيدة فوق طريق اللصوص والوحوش فندم أعظم الندم ورجع على الفور القهقري وهو يعدو عدو الظلوم . فلم يكن الظهر حتى وصل المكان المعلوم. وهنالك فتش عن مضجع لادياس فلم يجدها فكاد الموقف يطير بلبه ودخل في أشبه الحالات بالجنون فذهب بالبحث فى غير كنهه . ومضي من بين الصخور يهيم على وجهه. وكان العقل أنه يسلك الطريق الاقصد الاقصر. طريق الدرب الاصفر

فبينما هو فى هيامه يوغل فى الصخور ايغالا .ويذهب فيها يمينا وشمالا سمع زئيرا مادت له الصخرة الصماء. واهتزت له جوانب الفضاء . فما فزع ولا انذعر. بل وقف يتقصى النظر . فاذا هو بأسد هائل كتلة الجسم وقد قصد نحوه يتخطى له الصخر وهو يهدر كالفحل فثبت حماس فى مكانه .يترا آي للوحش بكل عيانه. ثم اندفع يهتز ويتثنى ويترنم بهذا الكلام ويتغني

انى أنا حماس * لى في الحروب باس

من خير جنس فى الورى * تعنو له الاجناس

أريكني ما امتطى * وتاجي النحاس
وصولجاني صارمي * والرمح والاتراس
يامن يريد لي الردي * ردت عليك الكاس
وأحصيت منك الخطي * وعدت الانفاس
ما في حماس حيلة * ولا له مراس *
قد تعب الوحش به * وحار فيه الناس
ولست من أكفائه * ولا به تقاس
فطأطئ الرأس له * فما عليك باس

فكانت هذه الصيحات. وما تقدمها من شدة الثبات. وخفة الحركات كنذير للوحش أن القرن . ممن يقام له وزن . ولا يستخف له شأن . فتباطأ في مشيته . وتخلى عن كثير من عزته . حتى صار من بطل الصخرة الصماء وجها لوجه ولم يبق بينهما الا دائرة النزال . والبعد اللازم للتناوش والقتال . فبدر حماس الى الاسد وكان الوحش نادرا في نوعه من حيث الجسامة والضخامة وطول السواعد وعظم الهامة . حتى كنت تراه بالثيران الوحشية أشبه منه بالاسود وكانت له لبد وافية ضافية يحتجب فيها رأسه وتبرز أنيابه من خلالها كانها المنايا الزرق وله عينان حمراوان تذيبان الحديد فما بال الانسان . فحين رأى حماس وقد برز له أناف على ساعديه وزأر زأرة رجعت صداها الآفاق ثم حمل على التي حملة منكرة فتخلى عنها وراغ كالثعلب منه ومنها فعاد الوحش فشي وهو فيكاد يخرق الارض ويبلغ عنان السماء طولا من هول دبدبته وخفقه في وثبته فرق حماس هذه المرة من تحت بطن الأسد وهكذا طفق الحيوان يثب تارة ويحوم أخرى ويجري يمنة ويصول يسرة ويقوم ويقعد

ويرغي ويزبد وحماس يغريه ويجنبه .ويطامه ولا يمكنه .حتي خانته قواه .وخذله ساعداه. فوقف وقد فغرفاه.ولم يبق منه حيا الاعيناه .وعند ذلك دنا حماس منه فألقمه اللوح فعضه بأنيابه فنشبت فيه من شدة الغيظ واذ أيقن الفتى أن الاسد عجز تعجيزا وانه صار كالعير أو أسهل قيادا أقبل عليه يلاعبه ويداعبه ويتلطف له ويطايبه كالظافر المعتذر . أوالمجامل وهو منتصر . وكأنما أثر كل هذا التعطف في وجدان الليث فأطرق برأسه وجعل يدور حول قاهره ويحتك به ويحتمي فيه فخطر حينئذ على بال حماس ان يحفظ هذه الهدية الفاخرة ليهديها الي الملك حال وصوله الى العاصمة الا أنه استنكف عن أن يسحب الأسد ورأى أن ركوبه اياه أسمى له وأجلب للراحة فترك اللوح فى فمه كما هو ورفع رجله فصار فوق ظهر الوحش واذا هو لا يتأبى ولا ينفر . ومن عادة الليث أن يتشامخ ويستكبر . ثم حركه فتحرك يمشي به مستعجل الخطو ناشط الاقدام .ولم يكن حماس يعلم أين يؤم بدابته فملكها الزمام وسامحها في اللجام .وارسلها تروم به كل مرام . فما زالت تطوى الصخر نحو الصخر وتخرج من قفر وتدخل في قفر .حتي مر به الليث على غابته وهنالك بدت من بعد أنثاه .والي جانبها شبلاه .وهى كأنها الفرس الكريم في حسن المنظر وتناسب الاعضاء وكأن صغيريها ليثان كبيران . وما اكتملا حولا من الزمان .فأشفق حماس من هذا العدد .وظنها خدعة من الاسد .فاستل خنجره واستعد للقتال راكبا وهو لا يشك انها مسبعه وان فيها أكثر من هذه الاربعة ثم أقبلت الام وولداها يتبعانها وهى تواصل الزئير .وتتأهب للتغير .حتى اقتربت من الاسد فلم يكن منه الا أن أدار نحوها الوجه ونظر اليها نظرة الزاجر الرادع ففهمت الاشارة ومشت أمامه ذلولا صاغره وشبلاها فى جانبيها

يسيران حيث تسير

وما هي الاساعة سير على هذه الصورة حتى بدت لحماس من بعد معالم مدينة تترا آى بين المزارع والجبال

ثم اذابه قد دخل في المعمور فحين رآه الاهالى ولوا منه فرارا ضاجين صائحين متفرقين ذات اليمين وذات الشمال وهو يدعوهم لتطمئن قلوبهم فلا يزيدهم نداؤه الا هلعا وفزعا حتى ارتبك في أمره وخشي أن يعود الحيوان فيثور تلقاء جبن الانسان فلم يكن منه الا انه ترجل ثم ساق البهائم أمامه وهو يفتش الطرق والاماكن عن محل يودعها فيه الى حين

فمر ببعض الملاعب على الطريق مما كان الاهالى يتخذون للمصارعة وكان متين البنيان عالى الجدران فعالج بابه فانفتح وحينئذ تحيل الي أدخل فيه الوحش وجماعته وأغلق الباب بعد ذلك كما كان

وكان الناس ينظرون الي فعله هذا من بعيد فلما أيقنوا أن الوحوش أصبحت في الاسر بحيث لا يخشى أذاها انهالوا عليه من كل جانب وهم بين الارتياب فيه والاستغراب وآنس حماس ذلك منهم فوقف فيهم خطيبا فشرح لهم الامر كما جري وأخبرهم كيف تمكن من قهر الوحش ولم يجرد لذلك سلاحا وكيف بلغ من هيبة الاسد له أنه حمل أنثاه وولديه على طاعته وكيف كان له مطية ودليلا حتى بلغ به المعمور بعد أن يئس من بلوغه

فعند ذلك علا تهليل الشعب حتى بلغ عنان السماء ولم يدر حماس الا بأكاليل الغار تجعل على رأسه وبالأزاهر تنثر في طريقه وتحت أقدامه فاستغرب الامر واستعلم ممن حوله عن السبب فأخبروه أن الحيوان الذى جاء به وبصغاره أسري ليس بالاسد كما زعم وانما هو الوحش الهائل وأن

تلك القرية قريته المسماة باسمه لكثرة مافتك فيها وأغار على أهاليها وأن الملك قد أقطعها من يدمر الوحش ونسله تدميرا فما بال من يأتي به أسيرا ؟ وأن عددا كثيرا من أبطال اليونان . وجند ساموس الشجعان .ذهبوا فريسة هذا الحيوان.

ثم أن الصناع في قرية الوحش الهائل اجتمعوا فقرروا فيما بينهم أن يصنع قفص من الحديد يسع الحيوانات الاربعة لتجعل فيه ثم يحمل الى الملك بوليقراط وبيناهم يباشرون هذ العمل بما فى الوسع اتيانه من السرعة كان حماس يشتغل بتعهد الوحوش واطعامها وسقايتها وهى لاتزداد الا تعلقا به والفته له واحتماء فيه

فلم يجيء اليوم التالي الا والقفص قد خرج من أيدى الصناع ولم يبق الا نقل السباع اليه فأخذ حماس هذه المهمة على نفسه فأدخل فيه الوحش وأنثاه وصغيريه وجعل فيه زادها وماءها ثم اجتمع نحو ألف من أهل القرية فحملوا القفص وساروا به قاصدين نحو العاصمة وكانت المسافة نحوها يوما كاملا بالسير الحثيث

الفصل الثالث عشر

(زفاف لادياس ابهرام)

تركنا لادياس شغلا لوالدها الملك بعد شغل وهما بفؤاده الرقيق بعد هم وان كان الطبيب الخاص قد اجتهد فى التخفيف عليه حتى أقنعه ان الاميرة ليست مختلسة العقل بل هي كما يقول الامير بهرام مضطربة الوجدان من شدة ماقاست في أسر اللصوص

الا أن مقالة الطبيب لم تصدق ولا أغنت من حقيقة الحال شيأ فان

هـذيان الفتاة كان يزداد من اللحظة الي الاخري وكان اختلال الشعور يظهر عليها كل الظهور وعلى الخصوص كلما وقعت عينها على الامير بهرام أودخلت معه فى كلام اذ تتذكر حينئذ حقيقة الحوادث وتشتاق رؤية منقذها فلا تجد فى بهرام منه الامشابه طفيفة لاتأسو جراحها ولاتبل صداها

وكان الملك يرى ذلك على فتاته فتزداد آلام فؤاده ويود فى نفسه لو كانت هلكت من أول الامر ولم ترد اليه كما هي الآن جسم ولا روح وروح ولا حياة وحياة ولاشعور

ولهـذا كانت لاتمر ساعة حتى يدخـل عليها أو يأمر بها فتخرج اليـه فيمتحنها فيجدها في كل ماتقول وتفعل كما كانت قبل الاختفاء وأعقل الا فى أمر واحد وهو الاعتراف للامير بهرام بمنته عليها بالانقاذ

أما بهرام فقد خشي من أول يوم ظهور صاحب الحق بغتة فيعطى حماس كنزه الذى وجده ولا يعطى هو الا الفضيحة والعار فعمد الي حيلة من أحسن مايتخذ فى مثل هذه الاحوال . ذلك أنه أوعز فى اليوم الثاني الى الطبيب الخاص بصوت رنين الذهب الفارسي أن يشـير على الملك بتزويج الاميرة فى الحال لعـل الالفـة اذا انعـقدت بينها وبين خطيبها بصـفة فعليـة تخرج أعصابها من أسر الاوهام

فتوجه الطبيب توا الى الملك واستأذن عليه ثم بذل له النصيحة من خرفة مقبولة فلم يكن من الملك عندئذ وهو فى موقف الفريق الا أن أبقى الطبيب في حضرته ثم أمر بمجلس الشورى الأعلى للمملكة فانعقد للحين

فلما تكاملت هيئة المجلس أشار بوليقراط لطبيبه أن يتكلم فقـام فألقى على الملأ خطابة شرح فيها الداء ووصف الدواء ملحا في طلب الزواج ووجوب

تعجيله حتي أقنع المجلس كل الاقناع فقرر قبول اشارته بالاجماع ثم ضرب اليوم الخامس من وصول الامير والاميرة الى العاصمة موعدا للاحتفال بعقد النكاح في الهيكل الاعظم

وما كاد المجلس ينفض حتى صدرت الاشارة السلطانية لكل ذى شأن بين رجال المملكة بالعمل الذى يرسم له في مثل هذه الظروف ويفرض عليه

وانقضي اليومان الباقيان فى تهيئة معدات القران وترتيب حفلات المهرجان حتى اذا كان صبيح اليوم الخامس يوم العقد لبهرام على لادياس تحرك موكب الزفاف بالعروسين حاشدا فاخراً رهيباً أوله فى ارحاب القصر السلطانى وآخره في ساحة الهيكل الاعظم

ثم وصلت المركبة العالية فاستقبلها على أبواب الهيكل الملك بوليقراط وكان قد سبقها اليه يحيط به الكهنة العظام وسائر وجوه الدولة الفخام وهنالك نزل العروسان يختالان فى أبهي الحلل يغيران بزينتهما الشمس فى رونق الضحى فمشيا يجتازان سور الهيكل وطرقاته وهى كانها بيوت النمل من زحمة الشعب عليها

وكان الملك قد أمر في مساء الليلة التى اسفر صبحها عن يوم القران السعيد بالافراج عن المساجين فخرجوا مئات يؤدون شكر هذه المنة بالدعاء لجلالته فى الهيكل وخارج الهيكل ويتيمنون بطلعة من هى السبب في هذه المرحمة الكبري

حتي اذا بلغت الحفلة تمامها وأخذت الرسوم فيها نظامها ولم يبق الا صدور الاشارة السلطانية للكهنة بالشروع فى العمل لم يدر الناس الا بصوت جهوري مسمع قد خرج من بعض جهات الهيكل فتفزع الجمع والتفت الملك

ومن حوله فحين آنس صاحب الصوت منهم ذلك قام يتراءى لهم بكل عيانه ثم قال :

أنا الساموسي كلكاس أشهد امام الالهة والناس وأعلم ان الشهادة دين وان ليس على الآلهة مبين وان كتمان الشهادة جبن وبلاده . وجرم بجرم الكذب وزياده فياأيها الناس لاتغتصبوا حقوق الغير .ولا تنالوا السوى بضير وأدوا لكل أمانته.وردوا الى كل بضاعته ...

الناس — تكلم أيها الرجل . قل .. أوجز .. أدّ الشهادة

كلكاس — أيهاالناس ان العجلة مذمومه. وان عواقب التسرع مشؤمه فامهلوني أخبركم اليقين .وآتكم بالعجب بعد حين ...

الناس — هذا مجنون .. هذا مهتاس العقل .. خذوه .. أخرجوه

وكانت الاميرة لما ذكر اسم كلكاس عرتها هزة لم تكن بالمعهود وتحنت على أبيها فطلبت منه أن يستمع مقالة الرجل الي آخرهاوان يعلي محل شهادته فحين برز الجند الى كلكاس ليخرجوه من الهيكل أشار لهم الملك أن يكفوا ثم أمر بالرجل فقدم بين يديه

وعندئذ حققته الاميره وعرفه الامير كذلك فاضطرباوبدت على الاولي علامات الدهشة والامل وعلى الثانى دلائل الحيرة والارتباك

فسأل الملك كلكاس قائلا — من الرجل وماعملك وما تلك الشهادة ؟

كلكاس — عبد جلالتكم الساموسي كلكاس خادم الامير بيروس...

الملك — بيروس ؟ وكيف أفلت من حبالة الحكومة ياخائن

كلكاس — لانفعك فى مثل هذا اليوم يامولاى

الملك — وأين نفعك . . هات . .أد الشهاده وحذار من الكذب

كلكاس — أعلم يامولاي أن هذا الامير ليس هو منقذ الاميرة كما كذب عليك ويكذب الآن على الآلهة

الامير بهرام — أنت الكاذب لا أنا أيها السوقة النذل

كلكاس — السوقة النذل تعرفه مولاتى الاميرة فأنا أترك لها الكلام

الاميرة — بل تكلم أنت يا كلكاس فما عليك من باس

كلكاس — ولكن منقذ الاميرة الحقيقي هو البطل حماس . الجهنمي حماس . المارد حماس . اني لاذكره يامولاى الاوترتعد فرائصي وأكاد أذوب فى ثيابى رعبا

الملك — حماس ؟ اذن أنت يالادياس عاقلة ونحن المجانين . اسمع لما يقول كلكاس ياأورستان

أورستان — انى أكاد أجن دهشا يامولاتى وأثنى على الآلهة أن يكون هذا الحديث صدقا وفي هذا الاثناء أقبل رجل من أقصي الهيكل يخترق الجمع حتى اذا اقترب من الملك وأورستان دخل فى حديثهما مندفعا فقال — وأنا يامولاي عبدك الساموسي مندراس أزكى شهادة كلكاس

الملك — ومن أنت أيضا ؟

مندراس — أحد أصحاب بيروس يامولاى والوحيد الباقي منهم اضطررت أنا وصاحبان لى من العصابة الي النجاة يوم الموقعة علي زورق مثقوب لبعض الصيادين فنزل رفيقاى في الطريق مفضلين المسير برا الي بلادهما وبقيت أنا وحدى في الزورق الي أن أسرني بحارة الملك فزججت فى السجن فلبثت فيه أياما ثم أخذت بنصيب من عفو الملك بالامس عن

المسجونين

الملك — وهل تعرف هذا الامير وأشار الي بهرام فدنا الرجل من الامير وحققه ثم عاد فقال هذا أول عهدى برؤيته يامولاى

الملك — ولكنه يزعم انه هو منقذ الاميره

الرجل — أسأل الآلهة أن يسلطوا عليه منقذها الحقيق فو رأسك لو شهد هذا الناعم أهوال ذلك اليوم لشاب قبل أوان المشيب

وبينما الرجل في الكلام سمعت ضجة عظيمة خارج الهيكل كادت تقلقل دعائمه ثم تلا هذه الضجة زحام شديد علي أبواب الهيكل فأرسل الملك من يأتيه بخبر ذلك فاندفع الرسول يشق عباب ذلك الجمع الحاشد ولكنه ما بلغ الباب خارجاً حتي لقيه عليه داخلا رجل غائب الرأس فى أكاليل الغار كأنه القمر المنير بشراً وجمالا أو الاسد الفتي مهابة وجلالا فتنحي الرسول حتى تجرد حماس عن سلاحه وكان الناس قد انشقوا نصفين وانقسموا صفين فتمهد الممر للبطل المهدى فقصد نحو بهرام لايلوى على أحد سواه حتى اذا صار منه وجها لوجه صاح يقول له — هل تم العقد بعد أيها السوقة النذل

كاكاس — لقد قلتها له قبلك فلم يصدقني ياسيدى حماس ولكن ليطمئن قلبك فقد حلت دون تمامه ولولا ذلك لجئت في الزمن الاخير

وكانت لادياس قد عرفت حبيبها من أول نظرة فلا تسل عن فرحها به وشدة سكرها من فرط السرور ولكنها تركت كلمة الفصل فى الموقف لوالدها الملك .

وكان أورستان قد عرف حماس أيضاً بمجرد النظر اليه فهمس فى أذن الملك بذلك ثم دار بينهما حديث قصير كانت نتيجته ان أورستان تقدم حتى استقبل

الاميرة ثم خاطبها بصوت يسمع الملأ فقال

— باسم مولاى الملك أسألك يامولاتى الاميرة هل هذا منقذك حماس

الاميرة — نعم هو بعينه

أورستان — وهل ترضين أن يكون قرينك الكريم

الاميرة — بعد مشيئة جلالة الملك

أورستان — كذلك شاء الملك فتقدموا أيها الكهنة العظام وأدوا عملكم بيمن وسلام

بهرام — ولكنى أيها الوزير لاأزال على دعواى بانقاذ الاميرة وانى أنا نجيتها من الغم لاهذا الرجل وقد وعدنى الملك بالقران فلا يفكه من وعده الا قرار القضاء ان كان فى البلاد شرائع ولها قضاة فحين سمع الملك والشعب هذه العبارة حاروا ودهشوا وتحولت أبصارهم الى حماس ينظرون ما يكون من جوابه فالتفت الفتى الى منازعه وقال — البلاد أيها الامير عامرة بعدل الملك ملآنة من قضاته العادلين ولكن مسائل الشرف والشهامة يفصل فيها بطريق الشرف والشهامة فان كان ولابد فان السيف بيننا وهو خير الحاكمين

بهرام — وأنا قابل حكمه

حماس — اذن فاخرج بنا خارج الهيكل وهناك تعطى السعادة من تشاء وتمنع من تشاء

فاستحسن الجميع عمل حماس هذا وخرج الرجلان توا يتبعهما نفر من ضباط الملك وخلق كثير من نظار الحروب وعشاق المعارك وبقى الملك والاميرة وسائر وجوه المملكة فى الهيكل ينتظرون نتيجة المبارزة

(المبارزة)

لايجول فى نفس القاريء عند سماع هذا اللفظ ما كان يجول فى أنفس الساموسيين اذهم فى الهيكل ينظرون ويسمعون من أن القتال لابد أن يسفر عن مصرع بهرام وانتصار حماس عليه لاول وهلة وحال الصدمة الاولى وهذا لانه لم يعهد فى بهرام أنه بطل شديد وكمى صنديد وان الذي جعل فيه مشابه خلقية من حماس قد خلقه كذلك على مثاله فى ثبات الجاش وشدة البأس بحيث لا يستخف بشأنه ولا ينزل به كثيرا عن قرنه والآن نصف المبارزة فنقول

لما صار البطلان خارج الهيكل ولم يعد يؤخذ عليهما حمل السلاح ومراس النزال والكفاح اتفقا على أن يجعلا ميدان الهيكل ساحة الملتقى لقربه من محفل الزفاف

فحين بلغاه اختارا السلاح لامصريا ولافارسيا ولكن يونانيا ليكون أقرب للعدل وأجلب لتكافؤ القوي فوقع الاختيار على الحسام البتار ثم التف حولهما الشهود كالحلقة المفرغة من فرط الزحام وشدة الاستحكام وعندئذ بدأ القتال فترك حماس لمبارزه الوثبة الاولى فحمل عليه بهرام بحد الحسام حملة يجفل عن مثلها الحمام فتنحى حماس فضاعت وطأتها الثقيلة على الهواء ثم وقف الاميريلتقي ويتقي وحماس أمامه كالنمر المغضب يروح ويجيء ويصول ويطول وهو لا يتمكن منه فى حركة من الحركات ولا يغني عنه منه الثبات فى الوثبات حتى عيل صبره لهذا الحال وظن انه غير قادر على خصمه ورأي الناس عليه ذلك فأوجست الانفس خيفة ودب الروع في القلوب

وكان بهرام في أول أمره يبارز براز المستقتل المستميت حتى اذا نظر الى

سواعد الخصم وقد كلت وملت ورأى الحور يأخذ عليه فى القتال مأخذا عاوده الامل بالحياة وثاب اليه الرجاء بالمستقبل فازداد قوة على قوة واستجمع كالاسد ليعقب الوثبة القاضية

وفى هذه اللحظة زأرت الاسود فى قفصها فملأ دوى زئيرها الآفاق وجرى ذلك فى خروق مسامع الفتى فنفر كالليث الجريح وترنم يقول بلسان فصيح

تعيرنى الاسود بان قلبي * يخور ولا يساعد ساعديا
وقلبي لو رأته الاسد يوما * وجسمي فى الثرى لرأته حيا
يفوز الخصم بى فى كل آن * وكنت بأن أفوز به حريا
فما فى صدره ما عند صدري * ولا في كفه ما فى يديا
ولكن غادة أخذت فؤادي * لينصرنى فرديه الي

وعلى أثر هذا النشيد تصادم البطلان والتقى الخصمان فكانت الدائرة في أول الملتقى على حساميهما اذ تحطما من شدة الصدام ثم طارا عن أيديهما الي فضاء بعيد وكان سكر القتال قد أعماهما وأصمهما فلم يشعرا بما أصاب السيوف ولا طلبا سواها لاستئناف الضراب بل اكتفيا بالسواعد وما هى الا هنيهة حتى تماسا فتمازجا فاتحدا وكان حماس في هذه الاثناء قد شبك يديه من خلف ظهر الامير فلم يدر الناس الا بهما كليهما قد سقطا متحدين كما كانا في حال القتال

وعندئذ أقبل الملاء عليهما يحركونهما وهم لا يشكون انهما فارقا الحياة أو ان أحدهما بالاقل قد مات وفى الواقع ما لبث حماس أن خلص جسمه من ذراعي الامير وكان كأنه منهما بين ناب الليث والظفر من قوتهما قبل الموت

وجدوها بعده فنهض الفتى قائما بين قتيل الشمس وهتافه فكان أول ما أتى على أثر هذه الافاقة أنه جثا عند رأس القتيل ثم قبله من فوق جبينه البارد وهو يبله بعبراته ويقول « الى الحياة الابدية أيها البطل العظيم فوحرمة الآلهة ماوجدت في البشر نظيرك ولا عهدت فى السباع مثيلك »

{ العقد }

وكان نبأ انتصار حماس على الامير بهرام وقتله اياه بالساعد لا بالحسام قد نقل الي الهيكل في حينه فسر الملك ومن معه به سرورا لا مزيد عليه وانه لم يعدل عشر معشار ماستحوذ على الاميرة من الفرح والحبور

فصدرت الاشارة حينئذ بعودة البطل حماس الي الهيكل فعاد بين خلق لايحصى ممن شهدوا الموقعة وهو يكاد ينوء بأكاليل الغار ويختفى فيما ينثر عليه أينما سار من ورق الغصون والازهار فلما ترآى شخصه آيبا قوبل فى الداخل بمثل مالقى فى الخارج من ثناء الناس وأعجابهم واشارتهم اليه أينما توجه بالبنان

حتى اذا اقترب من الملك تقدم بوليقراط فصافحه ثم قبله وهناه على مانال من عظيم الفوز وباهر الانتصار وحذوا عظماء المملكة بعد ذلك حذو سيدهم فتقدموا واحدا بعد واحد فصافحوا بطل اليوم والامس وهنأوه بما أوتى من صفات الشجاعة الجلائل

وبعد ذلك أشار الملك الي الكهنة أن يعملوا عملهم فاعترضه حماس قائلا : انى أعد مصاهرة الملك من أشرف النعم وأجل السعادات ولكني أتمنى على جلالته أن يجعاني على وعد منها الآن حتى أستوفى الشروط الأول شروط القران أما العقد فلا يكون الا فى آخر هيكل من الهياكل الاربعين اليونانية

التي سأبنيها العروسي الفخيمة في بلادي ووطن آبائي وأجدادي »

فلم يبق في نفس أحد من الحضور تلقاء هذا الشمم العالي شك أن بين جنبي الفتى نفس ملك عظيم وأن رجلا يكون بهذه الصفات النادرة وعلى مثل هذا الجانب من شرف الاخلاق يسير عليه اذا عقد العزم أن يقول ويفعل . الا انه لم يسع الملك على أثر ذلك الا قبول اشارة حماس على مافيها من التطوح في الآمال والتطرف في الثقة من الحال والمآل . فأجاب صهره بأنه راض بما قضي به وأن لادياس منذ اليوم وديعة لدى أبيها يطلبها متى شاء

ثم انفض المجلس وخرج الملك ويده في يد صهره وهما يتحادثان ثم صعدا في المركبة السلطانية فسارت بهم تشق عباب الجماهير من أهالي ساموس وهم بين المهابة في حماس والاكبار حتى بلغت القصر وهنالك هيئت له المقاصير اللائقة بمكانه من نسب الملك وحمل اليها جميع ماتشتهي النفس من دواعي الراحة وفرط النعيم . ثم عرضت من بعد ذلك عليه أن يقيم بها ماشاء ويرحل عنها متى شاء فرغب الفتى في أن تكون مدة اقامته في ضيافة الملك شهرا من الزمان

(كلمة على حماس)

كان المصريون قد فقدوا كرامتهم من زمن في أعين الامة الساموسية وسائر الامم الاجنبية وذلك بسبب ما اشتهر عن فرعون ابرياس ملك مصر يومئذ من نقضه عهده مع الملك سيدياس ملك يهودا من بلاد فلسطين وكان قد عاهده أن يمده بجيوشه لحماية مملكته من غارة الملك بختنصر حتى اذا أغار الاشوريون على بلاد سيدياس لم تكن جنود مصر وصلت لتنجد الضعيف على القوى فوقع بيت المقدس في قبضة بختنصر فنشأ عن ذلك فقدان كرامة المصريين في أعين الامم المعاصرة بعد أن كانوا الى ذلك الحين المثال المحتذى

بين الشعوب في كرم العهد ورعاية الذمام

على أن خيانة الملك هذه كانت أشد تأثيرا في رؤساء الجنود المصرية أنفسهم منها فى الاجانب لانها انما تمس كرامة الجيش مباشرة وتوصل الاذى الي شرفه الرفيع

وكان حماس من ضباط الطراز الاول فى الجيش وله سطور في سجل الانتصارات المصرية وكان قد اتصل أخيرا بخدمة الملك الخصوصية فأتيح له أن يطلع على نوايا ابرياس نحو الملك سدياس وما يضمر من خذلانه والتخلي عنه ساعة الشدة فعارض في ذلك أشد المعارضة وكان وحده في معية الملك لسان الجيش والمدافع عن شرفه وكرامته حتى اذا أخفق مسعاه لم يجد بدا من الاستقالة فاستقال

رأيت ملكا بلا استقامه * لاصدق فيه ولا سلامه

فعفت باب الامور حتى * خرجت بالعز والكرامه

وكانت أحاديث لادياس في ذلك الحين قد ملأت الآفاق وأخذ الشجعان فى كل بلاد يشتغلون بأمرها وينظرون اليها عن جوهرة فى صدف الاخطار لايغوص عليها الا كل مخاطر عنيد جبار

واذا كان حماس فى جملة من بلغتهم أوصاف الفتاة وما يعترض دون اقتناصها من الصعوبات التى تكاد تكون من المستحيلات لم يلبث أن زينت له البطالة ركوب هذا المسلك الوعر والتماس المزيد من الشهرة في اصطياد عنقاء ساموس فاشترى لهذه الغاية مركبا ثم سافر عليها قاصدا الجزيرة فالتقي فى طريقه بمراكب أورستان وكان من أمره المعروف بعد ذلك ما كان

هذه كلمة نوردها عن حماس وهو على أبواب مصر ليعلم القارىء

كيف كانت صفات الفتى وهو فى عنفوان صباه وما كان عليه من قوة العزيمة وثبوت الارادة وشدة الاقدام الا أن المدة التي ارتاح الى أن يقيمها فى قصر الملك ضيفاً كريما على بوليقراط وأهل بيته ورجال حاشيته كان من شأنها أن تحدث تغيرا عظيما فى أخلاقه وأطواره لابد تظهر نتيجته في مستقبل الايام فان التمدن اليونانى وهو أدبي محض كان أجمع لشمل اللذات وأوعى لصنوف الطيبات وأسمي بالقوى العقلية لعلى الدرجات من الحضارة المصرية التى هى بعكس الاولي محض مادية لم توف قسطها من الفنون الجميلة ولم يرزق أصحابها هبة الفكر الجليلة

فكان حماس من قصر الملك فى معرض جامع لاسمى مظاهر تمدن اليونان القديم وأبهي مجالي عزهم والنعيم حيث التفت فوجد حوله عقولا فى درجة عالية وأفكارا فى منزلة عظمي ولغة مملوءة من الحياة قادرة على الغايات وفنونا جاوزت في الجمال حد الجلال من نقش وتصوير وغناء وموسيقى وشعر وخطابة الي غير ذلك مما هو الصبغة الخاصة بالمدنية اليونانية القديمة فلا غرو أن يكون للفتى من ذلك كله خير مدرسة متعة لما هو عليه من الاخلاق المصرية القويمة

حتى اذا أوشك الشهر ينقضي ولم يبق الا أن يستعد حماس للسفر عائدا الي بلاده أمر الملك بثلاث من السفن السلطانية فهيئت ركابا له تحمله الي حيث يريد الذهاب

ولما كان يوم الرحيل ركب فى واحدة منها بين خلق لايحصى من الشعب الساموسي خاصته وعامته مشيعين ضيفهم العالى بالقلوب والابصار ثم تحركت الفلك تشق به العباب وتغالب التيار

الباب الثاني

(الحوادث في مصر)

(الفصل الاول)

« نظرة تاريخية »

كان الحاكم على الاقاليم المصرية في الزمن الذي نحن بسدد الكلام عنه ملك من ملوك العائلة الاحدى عشرية يقال له فرعون ابرياس

وكان قليل المهابة ساقط الشأن في الداخل ميت الذكر في الخارج لامن الفراعنة المحاربين ولامن عشاق السلم المدنيين لكن من فريق يمرون بالعرش مرا وما أجلسهم عليه الا الميلاد ولا نالوه الا بفضل الآباء والاجداد

وكانت مخايل السعادة حين ذاك لامة الفرس فبينما افريقية نائمة بنوم مصر ساكنة بسكونها كنت ترى آسيا تموج وتتحرك وهي من العناية على وعد والجوار يجرين لها بالسعد وقد شرع الدهر يمثل على مسرحها الهائل رواية مما يخرج للناس بين العصر والآخر علا فيها فوق علياء الفراعنة وذلك بغيهم يبغي من مثله والله للباغين بالمرصاد

وما بطل رواية الدهر في هذه المرة الا الملك الاشهر كيروش ملك ملوك فارس وميديا وكان في أول اقباله وبداية فتوحاته مشتغلا باخضاع البلاد المجاورة له التي هي طرق جيوشه الجرارة وشعاب عارضها الهطل الي شاسعات الممالك وبعيدات الامصار

الا ان فارس مع ماهي عليه من سعود الطالع ويمن الامر والثقة من الدهر كانت لاتزال تهاب مصر في ماضيها بقدر ما كان ملكها الاشهر كيروش جميل الظن في الحضارة المصرية شديد الاعجاب بها ومؤملا منها المنفعة لمملكته

الناشئة والخير لامته الحديثة العهد بالفخار والمجد وكل من قرأ تاريخ هذا الملك الحكيم وتأمل معاملته لفرعون مدة حكمه الطويل عرف لاول وهلة أنه انما كان يريد أن تبقى مصر ولو الى حين بمثابة مدرسة كبرى للفرس يحذون فى المجد مثالها ويسيرون فيه على نهجها الفاخر الجليل

الا أن مثل هذه الحكمة من ملك فاتح مغوار مثل كيروش لم تكن لتبقى سليمة الخلال مأمونة الاتصال الا اذا قوبلت بأعظم منها من لدن ملوك مصر واذ كان فرعون ابرياس دون هذه المهمة رأيا وذكاء وحذقا فى السياسة ودهاء فقد ظلت مصر فى أول أيامه على خطر الوقوع يوما ما في قبضة الفرس

على أن الدهر وهو قد عود مصر ان يعطيها من حيث يحرم وان يؤمنها من حيث يخيف كان قد احتاط لملكها فهيأ له من هو أصلح له ومن يقيه السقوط فى الهوة التي كان ابرياس يدحرجه اليها فان الجند فى مصر مالبثوا أن سخطوا على الملك وسياسته المبنية على هجر المعالى . معالي الفتح والانتصار والانكماش فى مثل سلو البهائم حتى أوشك الشرف العسكري المصرى أن يؤذى من دوام هذه الحال

ولم تكن حركة الخواطر فى الجيش ضد الملك بأقل منها فى سائر جهات الحكومة وعلى الاخص في دوائر الصناعة التى مات يومئذ بموتها خلق كثير

الا أن الفتنة مازالت نائمة لايجسر أحد على ايقاظها حتي اشتدت القلاقل الداخلية فظهر فيها جبن الملك فى غاياته وبدا للناس منه الحمق عند نهاياته فطمع فيه من طمع وتجرأ عليه من تجرأ وأصبح الامر فوضى واستعد الجيش والشعب فى مصر لظهور جندي سعيد يأخذ التاج غصباً وهذا الجندي

هو البطل حماس كما سترى بعد

الفصل الثاني

(الاستعداد فى مصر لاستقبال حماس)

كانت شهرة حماس وأنباء شجاعته الفائقة قد سبقته الي وطنه فكان لها أحسن تمهيد من ماضي الفتى في خدمة الجيش والصفات العالية التى طالما امتاز بها من بين أقرانه

واذ كانت أخبار الشجعان فى كل أين وآن يغالى فيها ويبالغ حتى تبلغ الي الخرافات فقد صارت أحاديث حماس فى مصر موضوع اشتغال الاطفال فما بال الرجال وأصبحت هى الحكايات والامثال فنشأ عن ذلك تمكن حب الفتى من قلوب الشعب وسريان المهابة له فى الانفس قبل ان تطأ قدمه تربة الوطن آيبا من جزيرة ساموس

ولم يكن لحماس حاسد على هذه الشهرة الفائقة سوي الملك أبرياس الا ان الغباوة دفعت به الى تدبير حيلة يبرأ الصبيان منها وذلك أنه يعيد حماس بمجرد وصوله الى وظيفته في البلاط وكان الفتى قد استقال منها قبل سفره الى جزر اليونان بلا باعث سوى كونه ضابطاً ذكيا حراً يقول الحق ولا يحيد فى حال من الاحوال عن الصدق والاسباب التى تقدم ذكرها فأراد الملك هذه المرة أن يطفيء نور حماس باستخدامه في القصر حيث الأيدى مغلولة عن الاعمال وحيث مظهر الملك والسلطان فوق كل مظهر وشان

فلما وصلت السفينة اليونانية المقلة لخطيب لادياس كانت على الشاطيء حوالي نقراطيس « فوة الآن » خلائق لايحصى لهم عدد قد أتوا من أقاصي

البلاد تحية بطل مصر الشاب حال وصوله وعرفانه بالذات مثل ماعرفوه بالصفات

وكان الجمع من كثرة العديد وشدة الزحام بحيث لم يكن عسيرا على حماس ان يقوم بعمل عدائى تكون نتيجته وبالا على البيت المالك وتستحيل شرارته فى أقرب وقت الي جمرة لاطاقة لابرياس باطفائها الا ان نشوة الشهرة لم تغلب الفتي على حزمه وقوة عقله فوقف بالآمال عند حده مكتفياً بهذه الخطوة الاولي العظمي في سبيل المجد والفخار

حتى اذا ألقت السفينة مراسيها ونزل حماس عنها تحوطه السفينتان الاخريان كأنهما لعقاب فلكه جناحان ضجت الالوف من الناس بالهتاف الشديد الموصول وكان أول من تقدم فحياه مصافحة رسول الملك ابرياس وكانت له أيام على الشاطىء ينتظره مع المنتظرين ويفتش عنه السفين بعد السفين فحين وقعت عليه عينه خف لاستقباله وبالغ له في الخطاب ثم أخبره أن أنباء شجاعة الفائقة كانت ترد على الملك أولا بأول وفي حينها وان جلالته كان يسر بها ولا يستكثرها على صفاته العالية المعلومة لديه وانه من أجل ذلك كله وتذكارا لخداماته السابقة الجليلة فى الجيش قد قلده رتبة القائد ورقاه لوظيفة حارس أول لذاته الفخيمة

فتلقى حماس خبر هذا الانعام بالقبول الحسن والشكر الوافر وهو في نفسه حذر من الملك مرتاب ثم قدم له الرسول جوادا كان قد أعده لركوبه فركب الرجلان وسارا من فورهما قاصدين مدينة سايس (صا الحجر الآن) لمقابلة الملك في قصره بها

﴿ الفصل الثالث ﴾

أين اللوح ؟

كان وصول حماس ورفيقه الي سايبس ليلاأى بعد ان نام الملك وهدأت المدينة فلم يبق بها من ساكن يخشى تحركه وكأن هذه أيضا حيلة من أبرياس دبرها فى نفسه ثم أوعز الى رسوله المرافق لحماس بانفاذها فأنفذها على مايرام

وفى الواقع كان باب المدينة الذى دخل منه الرجلان لايزال مفتوحا مع ان الاصول المتبعة يومئذ لم تكن تسمح ببقاء أبواب المدينة مفتحة الى مثل الساعة التي وصل فيها حماس من الليل

ثم ان الفتي لما وصل القصر ليقضي بقية الليل فى غرفة منه كما هو من واجبات وظيفته الجديدة وجد أبوابه مفتحة كذلك كانها تنتظره ريثما يصل ثم تغلق ولم يكن من الاصول أيضا ان تبقى أبواب القصر مفتحة بعد انصراف الناس منه ودخول الملك الى مقاصير الحرم

فاستنتج حماس من هاتين الحادثتين ان الملك اتفق هو ومندوبه أن يكون وصوله مع حماس في ساعة متأخرة من الليل لكيلا يشعر أحد بقدومه فتتولد فى المدينة حركة لا تحمد عقباها الا أن الفتى لم يعر هذا العمل الصغير كبير اهتمام بل استمر فى محادثة رفيقة وملاطفته حتي صار على باب الغرفة الخاصة بالحارس الاول فى القصر وهنالك شكر للضابط حسن قيامه بتلك المأمورية التى يعدها من الملك تشريفاً له لم يكن يستوجبه ثم تركه ودخل مقصورة نومه لينام وما كادت المضاجع تطمئن بجنبه حتى أخذه الكري فرأي فى منامه نفس الرؤيا التى رآها وهو على الدرب الاصفر اذ هو بجانب لادياس واذ هما يتوسدان الحصي والرمال فهب من نومه بحالة

المجنون وهو يصيح أين اللوح ؟ أين اللوح ؟

وعندئذ لم يدر الفتى الا برجل يتقدم نحوه في الظلام وهو يقول بصوت منخفض لاتخف ياسيدى حماس. لاتخف ياسيدى حماس انني من أصدق محبيك وأكبر أنصارك ولولا ذلك ماستهدفت بحضورى فى مثل هذه الساعة ودخولى غرفتك على هذه الصورة فانزل عن سرير نومك وأنا أريك أين اللوح

فما استتم الرجل حتى كاد حماس أن يطير لبه دهشا واستغرابا فقال للرجل بلسان معقود بالحيرة

ومن ذا الذى أتى باللوح من ميدان الهيكل وأنا على يقين أنني تركته نسياه هنالك عند ما كنت أبارز بهرام

الرجل ـ لا بل هو هنا ياسيدى هنا . . . أمامك . . . تحت قدميك فانزل وأنا أريك اياه

حماس ـ لعلك مجنون أيها الرجل أم أنت آت لتفتك بى غدرا فان كان لك في الحياة فاخرج من فورك والا قتلتك شر قتلة

الرجل ـ بل أنت المجنون ياحماس اذ ليس اللوح على ميدان الهيكل بل هو أمامك كما قلت لك . . . تحت قدميك وليس عليك الا أن تنزل عن سرير نومك ثم تخطو خطوة واحدة لتراه فانزل هات يدك . انى ما أتيت لأفتك بك كما زعمت ظلما بل أنا أريد أن أنقذ حياتك

ثم ان الرجل أخرج من جيبه فتيلا فأشعله فلما تأمل حماس صورة مفاجئه في الضوء اطمأن واستأنس ونزل عن مضجعه قائلا

وأين ذاك اللوح أيها الرجل ؟

الرجل ـ هاهو بين عينيك تأمل

فتأمل حماس أرضية الغرفة واذا بالتحقيق فيها لوح لا تكاد العين تعرف حدوده منها الا اذا وجدت من يهديها له وهو عظيم يكاد يشغل نصف مساحة الغرفة وقد دار بسرير النوم من جهاته الاربع فحين حققه حماس رفع عينيه ثم سأل الرجل قائلا

أو تعني باللوح هذا ؟

الرجل — وأي لوح يهمك أنت أكثر من هذا وهو قبرك الذي حفر لك فينا أنت عليه في سبات عميق. اذ أنت تحت الثرى في قرار سحيق

حماس — لقد حسبتك تتكلم عن اللوح الالهي اذ هو وحده يهمني ولا يهمني سواه فانطلق الآن لشأنك ودعني ونفسي والاحلام. فقد كفى ماقطعت على المنام

الرجل — ان الذي أعطاك الاقدام والبسالة. سلب منك عقلك لامحاله ولولم أكن أضل منك عقلا لما سعيت في انقاذك ولا خاطرت بحياتي من أجلك والآن فاستعد ياحماس للقاء حينك واني أستودعك النار. وبئس القرار

ثم ان الرجل عالج الباب بلطف فانفتح فخرج ينسل انسلالا تاركا حماس وحده في الغرفة وكانه لم تجر بينهما تلك المحادثة الطويلة ولا علم حماس من محدثه أنه انما يضطجع في فراش المنيه. ويقرب نفسه للهلاك كما تقرب الضحيه بل انثنى الى المضاجع فانغمس في خزها وكتانها. وقد ذكر باللوح لادياس وأياما تقضت له في البؤس بسببها. ثم في النعيم بقربها. فتهيج ساكن أشجانه وتأجج كامن نيرانه. وأخذ يعض بنان النادم الآسف على ماأفات نفسه من نعمة الحصول عليها. ونعيم المقام لديها. على حين قد تهيأت له المنى. وكان له عن كل ذلك الطمع غنى

وبينما هو في هذه الاحلام . بين اليقظة والمنام. لم يدر الا باللوح كان وطاءً فصار غطاءً ثم بالسرير يهوى به في ظلمات بعضها فوق بعض . حتى استوى على مثل اللحد الضيق من الارض. فاستقر به الهبوط هنالك فنهض حماس واقفاً حيث ما في الموت شك لواقف

ثم التفت فرأى الجند من كل الجهات وقد سددوا نحوه السهام لاينتظرون الا الاشارة ليذيقوه كأس الحمام. فصاح عندئذ قائلاً (أخيانة ياقوم) فلم يجبه الا الكهنة من خلف الجند بنشيد الموت المحزن الرائع فلم يبق في نفس الفتى شك ساعتئذ ان الملك قد اغتاله. وان منيته قد دنت لامحاله الا أنه تجلد للشمامة ولبس للموقف لبوسه من الاستجماع والوقار فقال يخاطب الجلادين (اذن فاعملوا عملكم فاني مستعد للقاء الدار الابدية) فلم يجبه في هذه المرة أيضاً الا الكهنة من خلف الجند بنشيد الموت المحزن الرائع

وكانت هذه الهنيهة بين النشيدين كافية لرد العاشق الي اذكار معشوقته والخاطب الي الفكر في خطيبته . وما وعدها من مستقبل باطيب سعيد. وعيش في الهناء مديد. بحيث أصبح دينا عليه أن يحيا لتحيا منها الآمال. وأن يعيش من أجلها على كل حال

وعلى أثر هذه الخطرات جبن البطل وخذلته نفسه الابية لاول مرة فسكبت عيناه الدموع وهو يرفعهما نحو سماء الجلب ويقول (أيها الآلهة العظام ثبتوا برحمتكم أقدامي وأعينوني على رؤية هؤلاء الجلادين) فجاءه الجواب هذه المرة أيضاً من الكهنة خلف الجند يشيرون بنشيد الموت المحزن الرائع

وعندئذ أيقن حماس أن الاشارة صادرة للجند لامحالة فأمسك عن

الكلام. وسدد صدره نحو السهام. كمن يستحث الحمام. وفي هذا الاثناء تنحى الجندي الذي أمام حماس وقال بصوت جهوري رهيب (الملك)

فحين سمع سائر الجند هذه الكلمة أمالوا الاسلحة وانحنوا بهيئة تعظيم يستعدون لتحية الملك حتى اذا ترآى شخصه كان حماس أول مؤد للتحية فاشار ابرياس للجند أن يتمدوا ففعلوا ثم قال يخاطب حماس

أعرفت أين أنت الآن ياحماس أرأيت كيف أمسيت

حماس — أسير احتيالك يامولاي ورهين اغتيالك فعجل لي أستريح من رؤية هؤلاء الجلادين

الملك — ولكني الى العفو أميل ياحماس

حماس — وهو منك أحري يامولاي

الملك — لكن العفو معلق بشروط ثلاثة فان تحققت حصل والا فلا سبيل اليه

حماس — وما هي هذه الشروط يامولاي

الملك — أن تعترف أولا أنك استوجبت عقوبة الاعدام بما صرحت به في ساموس من تعلق آمالك بالملك وسعيك في اغتصاب تاجي وعرشي وثانياً أن تكتب الي بوليقراط بانك لم تعد تطمع في ملك سيدك ومولاك بل تكتفي بما بلغت اليه في حكمه من رفيع الرتب وعظيم المناصب وثالثاً أن تقسم بالآلهة وبالشرف العسكري أنك لاتخونني ولا تتصدى لايذاء عرشي بل تكون له طول حياتك الخادم الامين والناصر في الملمات والمعين وهذا كله بالكتابة وفي هذه الورقة قال هذا وقدم للفتى طرساً وقلما ودواة فتردد حماس بادىء بدىء بين قبول هذه الشروط ورفضها الا أن البطل لم يلبث

أن انخذل. وناب العاشق فامتثل . فمد حماس يده وأخذ من الملك أدوات الكتابة ثم كتب جميع ما أملى عليه ووضع اسمه بعد ذلك في أسفل الورقة ثم دفعها الي أبرياس فتناولها فرحاً مسروراً وقرأها فألفاها كما طلب وأزيد فطواها وجعلها في بعض جيوبه ثم التفت الى حماس فقال الآن عفوت عنك أيها القائد واعلم أنه لاتمضي أيام قلائل حتى أكون قد نقلت كبير حرسي الي وظيفة تليق به في الجيش ثم أجعلك مكانه فتكون قد رقيت في شهر واحد لرتبتين من أسمى الرتب في المملكة وليت منصبين من أرفع المناصب فيها قال وأنا عاجز عن الشكر يا مولاي تلقاء هذا الكرم الباهر وليس عندي ما أقدمه سوي الدعاء بدوام وجودك قال اذن فاطرح نفسك على السرير كما كنت وهو يخفي بك صاعداً حتى يبلغ غرفتك قال سمعاً وطاعة واضطجع في السرير كالنائم فتقدم الجند عندئذ وحركوا الآلات فتحرك السرير معه فلم يكن كلمح البصر حتى صار حماس فوق الارض بمدان كان تحتها فقضي بقية تلك الليلة في هواجس وأوهام ويقظة ملآنة من الاحلام.

الفصل الرابع

(اتفق غريب)

أطاوع في لاذياك الزمان * فيوماً شجاع ويوماً جبان
ويوماً أطاع ويوماً أطيع * ويوماً أعز ويوماً أهان
ويوماً أراني رضي القياد * ويوماً أراني عصي العنان
حلفت لفرعون لاختته * وقد كان لي ولفرعون شان
ولولاك لم أهو ملك البلاد * ولولاك لم أسل قبل الاوان
يمين لابريس في ذمتي * وأخري لكم قبلها في الصيان

وهذي أتتكم بخط الفؤاد * وتلك أتته بخط البنان

فأصبحت ان خنتكم في الهوى * وان لم أخن عهدكم قيل خان

كانت الأيام على حماس والاشهر تتعاقب عليه وهو في أعلى مكانة من رضوان الملك بل هو الركن الاعظم في القصر والواسطة في عقد الحاشية ترد الى رأيه الآراء ولا ترد مشيئته اذا شاء. وهو يزيد طاعة وامتثالا. كلما زاده الملك قبولا واقبالا

وكانت فرق الحرس وهي يومئذ يونانية مستأجرة وهي تكاد تتفاني في حبه من دون الملك وهو انما جذبها الى محبة ذكرى وقائمه في بلاد اليونان أولا وبحسن معاملته لها وسببه في راحتها ورفاهتها ثانياً

وكان الملك قد أنجز حماس ماوعد في الليلة المشؤمة فولى كبير الحرس قيادة الجيش الاستمارى في فينيقيا وجعل مكانه على قيادة الحرس العامة بطل هذه الرواية فأصبح له بذلك النهى والامر على أكثر من ثلاثين الفاً من جنود الحرس والاشراف العام على سائر المعسكرات السلطانية في العاصمة

الا أن طاعة حماس لمولاه وبلوغه في الولاء الي هذه الحد لم يكونا ناشئين عن خوف ولا رجاء. ولا حب ولا استرضاء. ولكن عن محض تقيد باليمين المعلومه في الليلة المشؤمه بحيث كان يخشي أن تغلبه المطامع على دينه فيصبح له ولا بر ياس شان وفي الواقع لم يكن يعوز حماس الاحادثة تحرك من غرامه ماسكن. وتثير من آرائه ما كمن. لاسيما ان هي أتت من ساموس

فبينما هو ذات يوم في نزهته بالمدينة يمشي في الاسواق ويمر بمعالم الصناعة. ومعاملها ومخازن التجارة وحواصلها. وقف به المشي على دكان لرجل ساموسي من باعة الآثار اليونانية وكان حماس من المولعين بصنائع اليونان

وبدائعهم فلبث هنيهة يتأمل فيما احتوته الدكان من ذلك وكان لابسا حلته العسكرية اليومية فعرف البائع منها أنه من عظماء الضباط فى الجيش فدنامنه وكلمه همساً فقال

— لقد آل الي أثر من أنفس الآثار لاسيما في نظر عظماء الضباط أمثالك يامولاى

حماس — وماذاك ؟

التاجر — إكليل من الغار مما فضل عن كبير الحرس القائد حماس يوم خرج من مبارزة الامير بهرام ظافراً منصوراً

فما كاد الرجل يستتم حتي اضطرب القائد اضطرابا بدت عليه دلائله إلا انه استرد جاشه فسأل الرجل قائلا — وأين هذا الاكليل ؟

الرجل — في منزلي بالقرب من الدكان فان أذن مولاى فلينتظرنى هنا لحظة ريثما أحضره

حماس — على أن لاتبطئ عنى

الرجل — لاتخف يامولاى وانى مستبشر بوجودك ولست أول من أقبل علىّ في هذه الايام من الاغنياء والسراة العظام بفضل اللوح... نعم اللوح... اللوح الالهى ... اللوح الرازق اللوح المسعد .... اللوح المنجي

قال هذا وهم بالذهاب فمسك حماس بيده وسأله بلسان يتعثر من الدهش قائلا

— ماهذا اللوح أيها الرجل ....ماحديثه ؟

الرجل — حديثه غريب يامولاى ولكن لايهمك فدعنى اذهب لأحضر لك الاكليل

حماس — بل أنا أحب سماعه وربما همني ذلك فلا تذهب حتى تحدثني اياه

الرجل — اعلم يامولاي أنني قدمت مصر من سنتين تاركا امرأتي وولدي هذا وأشار لصبيه في ساموس يتعيشان بها من بيع الآثار. كما أفعل أنا في هذه الديار. حتى اذا اطمأن بي المقام في سيس وسكنت الى طول المعيشة فيها بعثت اليهما أستقدمهما فقدما بعد ان أشرفا على الهلاك غرقا وكانت نجاتهما على اللوح الميمون. وحديث ذلك أن امرأتي مشت ذات مرة على ميدان الهيكل في ساموس فوجدت في طريقها لوحا من الخشب فحملته وعادت به الى المنزل لنجعله حطباً لنار الطبخ قالت فلما همست بكسره أحسست كأن يدي تخونني ثم حاولت ذلك مراراً فلم تطاوعني يدي عليه فتأملت اللوح فوجدته صالحا لنوم ابني وكان يومئذ في شدة المرض ففرشته له فوجد الراحة والعافية عليه قال التاجر ثم أخذ الرزق يتيسر لامرأتي أسبابه والحياة يتسهل محياها حتي استبشرت باللوح فعظم ضنها به واشتد حرصها عليه حتى اذا استقدمتها حملته معها في السفينة التي ركبت فيها للمجيء الى مصر فقدر ان السفينة غرقت فهلك جميع من فيها الا امرأتي وابني وكانت نجاتهما باللوح وعليه . هذا يامولاي حديث اللوح ولا تسل عما شمل أمري من اليمن منذ وجوده في بيتي فان الناس يقبلون علي أعظم اقبال. والرزق يأتيني فيربي على الآمال

حماس — وهل تمكنني من رؤية هذا اللوح

الرجل — ولم لا يامولاي ؟

حماس — اذن فائذن لي أن أذهب معك لأراه

الرجل — على الرحب والسعة فاتبعني يامولاي

فسار التاجر وحماس يتبعه حتى بلغا المنزل وكان فى نهاية الشارع الذي فيه الدكان فدخلاه وهنالك طلب الرجل من امرأته اللوح ليريه القائد فأحضرته فتأمله حماس فعرفه من أول وهلة فأخذه متلهفاً وما زال يضمه ويقبله وعيناه تفيضان من الدمع حتى رثى الزوجان لحاله فسأله الرجل عن السبب ملحاً فالتفت حماس اليه وقال

— هل تبيعني هذا اللوح أيها السيد

التاجر — لا أبيعه ولو أعطيت فيه خزائن الارض

حماس — ولماذا وما فائدتك منه فان كان ماتصيب بسببه من الرزق الواسع فأنا أجريه لك كل يوم كما هو وأزيد وان كان ...

التاجر مقاطعاً — لاتتعب نفسك يامولاى فانى أفي لهذا اللوح كما وفى لزوجتي وابنى فلو كان لحياتهما ثمن عندي ماتأخرت عن مساومتك فيه

فأطرق حماس برأسه هنيهة وقد اقشعر بدنه واضطرب وجدانه عند ماتذكر يمينه للوح وما شهد من وفاء التاجر له على حين كان الوفاء منه هو أحرى ثم رفع عينيه وقال

— هب ان كان الراغب فيه صديقكم حماس

التاجر — لقد أشرق البيت بنورك فأهلا بك يامولاي وسهلا ولكننى لاأبيعه أحداً ولو انه الملك ابرياس

حماس — فان كان فى بيعه خير لبلادك وسعادة لقومك وملك مصر تنهي فيه أميرتكم لادياس وتأمر

الناس — اذن فهى حياة أعزّ على من حياة امرأتي وولدي الواحد وأنا في هذه الحال لاأبيعه بيعاً ولكن أقدمه تقديماً

حماس — وأنا أطلبه منك على هذا الشرط ولكني أسألك أولا أن تكتم الامر كل الكتمان . ثانيا أن تقبل مني عشرين ألف قطعة من الذهب تأخذ نصفها لك خاصة وتنفق النصف الآخر في عمل عرش يليق بجلوس الملوك وتكون قوائمه مصنوعة من خشب اللوح ثالثا ان تبقي هذا العرش عندك فلا تقدمه لي الا اذا علمت انني في خطر عظيم أو كرب جسيم قال هذا وناوله قلادة كانت في جيبه تربي قيمتها على المبلغ الذي وعده به فتناولها التاجر فرحا مسرورا ثم خرج حماس وهو لا يبصر أين يضع القدم من شدة الاندهاش وفرط السرور

الفصل الخامس

(كلكاس في مصر)

كانت حامية منفيس وهي يومئذ الحامية الثانية للبلاد مؤلفة من الجنود الوطنيين الذين لم يكونوا مع الملك في جانب وانهم ظهروا في طاعته واستمروا على الصدق والامانة في خدمته

وكانوا يحبون حماس ملء القلوب ويستعين به قوادهم على قضاء حاجاتهم لدى فرعون وحكومته وكانت له المراقبة عليهم بمقتضى وظيفته العليا في القصر السلطاني فكان يذهب الى منفيس بين الوقت والآخر لاجراء التفتيش العسكري والنظر في شؤن الحامية وانتقاد أحوالها

فبينما هو ذات مرة في منفيس يباشر عمله هذا تقدم اليه رجل متلثم وقال له بصوت لا يجاوز سماعه

أنا يا مولاي عبدك تاجر الآثار بسيس

حماس — وفيم حضورك الساعة وماذا تريد

الرجل — أريد يا مولاي أن أقص عليك ما أصابني بسبب العرش الذي

صنعته لك من خشب اللوح المعهود

حماس وماذا أصابك

الرجل اعلم يامولاي ان النار شبت فى الغرفة التى هو مخبوء فيها مرتين فالتهمت جميع مافيها من متاع وأثاث ولم يبق مما تأكل النار في المرتين سوي العرش مع كونه خشبا فى خشب فهو بذلك أول معرض للعطب وقد لاحظت أنا وزوجتي ان الحريقين حصلا في يومى سرار البدر من الشهرين الماضيين وكان حصولهما في ساعة واحدة وعلى صورة واحدة وقد رأت زوجتى منذ ليلتين رؤيا هالتها وأقلقتني أنا أيضاً سماعها منها فعجلت اليك لترى فى الامر رأيك ولتريحني من وديعتك التي تتهدد بيتى من الاساس الى السقف فقد رأت امرأتى ان البيت احترق مرة ثالثة فغادرته النار تلا من رماد واذ كنت أعهدها صادقة الاحلام تبعتك الى هذا البلد فانظر الآن ماذا تأمر

فأطرق حماس برأسه ثم رفع عينيه ليكلم الرجل واذا هو بكلكاس قد كشف اللثام فحين رآه عرفه أول وهلة فاشفق من رؤيته وصاح يقول — كلكاس . . كلكاس هنا

كلكاس — نعم يامولاي وانه رسول الاميرة اليك ليذكرك وعودك وعهودك وليقول لك عن لسانها ان السعادات بنات الهمم وان الفرص اذا لم تغتنم يندم تاركها حين لاينفع الندم

حماس — وما علاقتك بتاجر الآثار فى سيبس

كلكاس — هو أيضاً سفير الاميرة في شؤن الغرام ورسولها من قبلي لتحقيق ذلك المرام

فحين سمع حماس هذه العبارة ازداد دهشا على دهش وكاد فؤاده أن تلفظه الضلوع من شدة الخفق لذكر اسم الحبيبة أولا ولغرابة هذه المفاجأة ثانياً فقال اعلم يا كلكاس أنك لا تبرح هذه الديار حتى يكون الامر قد تم وتكون أنت أول من يحمل البشري الى الاميرة باستقدامها ولكني أحذرك من الهذى والهذر كما هو طبعك وأوصيك بالكتمان الذي لا كتمان بعده والآن أرى أن تبقى في منفيس ترانى ولا أراك فاذا علمت أني أغادرها آيباً الى العاصمة فاحتل على مقابلتى لاطلعك على نتيجة مسعاى قال سمعاً وطاعة يا مولاى وانصرف تاركا حماس فى تفكير وتدبير واحتيال على المراد العزيز

الفصل السادس

(توفر الشروط)

لم يمض يومان على مجيء كبير الحرس الى منفيس لتعهد حاميتها حتى نشأت حركة بين الجند في جميع معسكرات المدينة قلق لها القواد كثيراً وأخر حماس من أجلها عودته الى العاصمة وبسبب ذلك انه شاع فى منفيس ان الجنود الاستعمارية في برقة (غربى الديار المصرية) شقت عصا الطاعة وانها غادرت مراكزها فى المستعمرة زاحفة على الوطن لعزل الملك وقلب هيئة الحكم

وفي الواقع ماسرت هذه الاشاعة حتى وردت على حماس أوامر الملك بتهيئة جيش منفيس للخروج الى ملاقاة الثائرين وكبح جماحهم وتبديد شملهم قبل توغلهم فى البلاد وأنه هو أى الملك سيفد على منفيس بجنوده اليونانية ليمده بهم منها ان مست الحاجة وليحفظ له خط الرجوع فيها ان دارت على جيشه الدوائر فشرع حماس من فوره فى تنفيذ الاوامر السلطانية بهمة هو بها جدير

الا ان السبب في عصيان جيش تونس لم يكن مجهولا لدى سائر العساكر الوطنية في مصر وهو احتقار الملك للعنصر الوطني في الجيش وسوء معاملته له وتفضيله اليونان المستأجرين عليه واذ كان الجند كلهم سواء في هذا الشعور لم تكن حركة الخواطر بينهم في منفيس الا ناشئة عن مشاركة اخوانهم الثائرين فيما يضمرونه من بغض الملك وما يظهرون

فلم تمض ثلاثة أيام حتى أخذت جنود حماس أهبتها واستعدت لخروج القائد بها الى ملاقاة العصاة بين استياء الاهالي وكدر الجند أنفسهم حتى اذا اجتاز بهم أبواب المدينة أقبل عليه كلكاس فعرفه القائد من لثامه وأنكر عليه في نفسه هذه الجرأة فركض جواده ليلاقيه حتى اذا اقترب منه سأله قائلا

هذا وقت الكلام يا كلكاس

كلكاس — نعم ووقت العمل يا مولاي فأنت الآن بين طريقين طريق السلامة لك ولقومك وللاميرة عروسك وطريق الندامة لك ولجميع من ذكرت فأما طريق السلامة فالذي أنت تاركه وأما طريق الندامة فالذي أنت الآن سالكه فارجع من حيث جئت ولا تترك منفيس فانها حصن حصين وركن أمين

فأطرق حماس برأسه هنيهة ثم التفت الى من خلفه من القواد فخاطبهم على مسمع من الجيش قائلا أتدرون أيها الصحب ما يقول هذا المفاجىء الروحاني قالوا بلى قال يزعم أننا اذا قاتلنا اخواننا المصريين أمطرتنا السماء حجارة لا طاقة لنا بها ويزعم أيضاً ان ثورة الجيش في برقه مكيدة دبرها الملك وأصحابه اليونان ليفنونا عن آخرنا وما يفنوننا ولكن نفني بعضنا بعضاً .

فحين سمع القواد المصريون هذه العبارة فاضت قلوبهم من الحقد على ابرياس ونقلوها برمتها الي الصفوف حتى اذا لم يبق جندى الا سمعها انقلب الجيش للحين عاصياً ثائرا وصاح باسان واحد يقول . حماس يحمينا .. حماس ينتقم لنا ... الي سيس ... الى سيس ... فلم يسع حماس عندئذ الا الرجوع بالجنود والمسير بهم الى سيس لمقاتلة الملك وجنوده وكان الجيش اليوناني قد دنا من منفيس فاشتبك القتال بين الفريقين واستمر من الضحي الى الاصيل حتى قتل من الجانبين خلق كثير وكادت النصرة أن تتم لابرياس وجيشه الجرار ترا آي على ساحة القتال رجل يحمل عرشا من أنفس مارقا الملوك وهو يصيح قائلا : هذا عرش السلام سخره الآلهة للملك حماس أمازيس فما كاد الرجل يستتم حتي ألقي اليونان أسلحتهم خاذلين الملك منفضين من حوله وأجلس القواد زعيمهم على العرش ثم حملوه على الاعناق وجعلوا يطوفون على الصفوف من أهالى وعسكر وقبض على ابرياس ثم تحرك الجيش معتزا بالملك الجديد وهو يسير به الي العاصمة حتى دخلها ليلا فاذا هى مفتحة الابواب تستقبل الملك القائم بأكل ترحاب وعندئذ أمر حماس بالملك الاسير فسيق الي القصر مراعي مكرما حتي ينظر في أمره

الا ان الشعب تجمع حول القصر يلح في طلب ابرياس والملك المعزول يسمع تهديده ووعيده حتي يئس من الحياة فأرسل الى حماس في الفجر يطلب منه الامان لبنته الواحدة ولم يكن له من الاهل سواها فأجابه حماس الى طلبه وانه يحافظ على حياتها ويضمن لها المعيشة اللائقة بها من بعده فحين ورد هذا الجواب على ابرياس أخرج من جيبه ورقة مختومة وناولها الاميرة وقال لها احفظى وديعتى لدى الآلهة هذه الورقة فانها صك منهم بالانتقام

لا يبك من الغادرين ثم قبلها وموج الدمع يحول بينهما وخرج بعد ذلك الى الشعب فلقى منيته للحين . وما اطمأن السرير بأمازيس حتى أرسل كلكاس الى ساموس في وفد من وجوه المملكة وسراتها يستقدمون لاديس حتى اذا قدم موكبها الفاخر زفت الى الملك زفافا مشهورا ألقى فى يومه أساس أربعين هيكلا فى الاوطان لمعبودات اليونان فكملت بذلك الشروط الثلاثة للقران اه

تليها رواية دل وتيمان أو آخر الفراعنة وهى متممة لها ويعرف القارئ منها كيف زال ملك الفراعنه

فهرست الرواية

صحيفه
٢ (الباب الاول) — الفصل الاول — نزهة على شاطىء النيل
٦ الفصل الثانى — رجال الزورق
١٢ « الثالث — لصوص الماء
١٧ « الرابع — أين أصبحت لادياس
١٩ « الخامس — الملك بوليقراط
٢٣ « السادس — حياة ثم موت ثم بعث
٣٣ « السابع — فى طلب الاميرة
٣٦ « الثامن — ساكن الصخرة
٣٨ « التاسع — حماس فى الصخره
٤٤ « العاشر — كيف انتبهت لادياس
٤٦ « الحادى عشر — بوليقراط والدهر
٥١ « الثانى عشر — قرية الوحش الهائل
٥٥ « الثالث عشر — زمان لادياس لبهرام
٦٢ المبارزة
٦٤ العقد
٦٨ الباب الثانى — الفصل الاول نظرة تاريخية
٧٠ الفصل الثانى — استقبال حماس فى مصر
٧٢ الفصل الثالث — أين اللوح
٧٧ « الرابع — اتفاق غريب
٨٢ « الخامس — كلكاس فى مصر
٨٤ « السادس — توفر الشروط

obeikandl.com